سيرة

النجم الثاقب في أشرف المناقب

ابن حبيب

النجم الثاقب في أشرف المناقب

تأليف

الحسن بن عمربن حبيب (ت٧٧٩هـ)

قرأه وضبط نصه

د. يحيى مراد

ترجمة المؤلف

الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب بن شويخ بن عمر، بدر الدين، أبو محمد وأبو طاهر، الدمشقي.

ولد بحلب في شعبان سنة عشر وسبعمائة، ونشأ في بيت علم ودين، فأبوه هو الحافظ عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب، زين الدين، الشافعي (٦٦٣ - ٧٢٦ هـ)، خرج له الحافظ الذهبي مشيخة فيها أكثر من خمسمائة شيخ، وسمع عليه بحلب الكثيرون، من بينهم أولاده الخمسة: الحسن، ومحمد، والحسين، وعلي، وأحمد.

سمع ابن حبيب "مسند أبي داود الطيالسي" على الرئيس تاج الدين أبي المكارم محمد ابن أحمد النصيبـي الحلبي الشافعي وهو في سن الخامسة من عمره، وكذلك سمع "مشيخة ابن كليب" على الشيخ شمس الدين محمد بن إسحاق الجعفري الحلبي.

وقد سمع ابن حبيب من الكثير من العلماء والمشايخ، منهم: الشيخ اء الدين محمد ابن علي بن سعيد الأنصاري الشافعي، وابن نباتة المصري، والشيخ الإمام صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي، والشيخ الإمام الأديب المحدث محمد بن جابر الوادي آشي الملكي.

وسافر ابن حبيب إلى الحجاز للحج وطلب العلم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، ومرة ثانية سنة تسع وثلاثين وسبعمائة، وفي سنة ست وثلاثين وسبعمائة سافر ابن حبيب إلى القاهرة والتقى بطائفة من أهل العلم والحديث، وسمع منهم؛ أمثال: العلامة اء الدين محمد بن علي بن سعيد الأنصاري الشافعي الشهير بابن إمام المشهد، والشيخ المسند أمين الدين أبو الفضل عبد المحسن بن محمد بن علي بن الصابوني المصري، والشيخ الفقيه شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن إبراهيم الأنصاري الشافعي، والشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن غالي بن نجم بن عبد العزيز الدمياطي القاهري المعروف بابن الشماع، والشيخ عز الدين أبو محمد عبد المؤمن بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر العجمي الشافعي.

توفي ابن حبيب في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الوليّ الحميد، المبدئ المعيد، الفتاح العليم، رب العرش العظيم، الذي يخص من يشاء بمناجاته، ويعلم حيث يجعل رسالاته، والصلاة والسلام، على رافع قواعد الإسلام، والمرسل بالرأفة والرحمة، والمبعوث لكشف الظلم والظلمة، الذي عم بفضله المقترب والمغترب، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وعلى آله الأبرار، وأصحابه الأخيار، ما جرت الأ ار، وتعاقب الليل والنهار.

وبعد.

فهذه أوراق، أينع ثمر أغصا ا وراق، وتشتمل على ثلاثين فصلا، محرزة في ميدان الإيمان للسبق خصلا، حاملة ألوية الشرف، رافلة في مطارف الطّرف، مفصحةً بتعريف أحوال المصطفى، منجحة قصد من اتبع آثاره واقتفى، نحوت ا نحو القاضي عياض في شفائه، مهتدياً بالناشطات السابحات في فلك سمائه، وسميتها: (النجم الثاقب في أشرف المناقب) وعلى الله أتوكل في الحركة والسكون، وبرسوله أتشفع يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

يا خير مبعوث له طلعةٌ — نور الهدى منها أقر العيونْ
جئت إلى ناديك أرجو الندى — من غيث كفيك المغيث الهَتونْ
كن لي شفيعاً فارتكاب الهوى — أوقعني بين الشجي والشجون
صلى عليك الله سبحانه — ما هزت الريح قدود الغصون

فصل

في فضله وعظيم قدره عند ربه ﷺ

اعلم وفقنا الله وإياك، وأتحفك بهدية الهداية وحياك، أن رسول الله ﷺ أفضل البشر على الإطلاق، وأن لسيادته على ولد آدم أدلةً ظاهرة الإشراف والإشراق، وأنه أرفع الناس درجة وأقربهم زلفى، وأكرمهم منزلة عند من يعلم السر وأخفى، وأن الله تعالى خصه بمناقب عديدة، وفضائل مفيدة، ومحامد كثيرة، ومآثر أثيرة، ومنحه بكرائم الكرامة، وأعلى في الدارين مقاله ومقامه، وأظهر على يديه الآيات، وأقام له الألوية والرايات، وكمل فيه جميع المحاسن، وأفاض عليه من عين العناية ماء غير آسن، وفضله على خاصته وأحبابه، وأثني عليه في مواضع من كتابه، ونصره بالرعب مسيرة شهر، وأبقى معجزته ما بقى الدهر، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً، ولقى من نظر إلى وجهه الكريم نضرةً وسروراً، وأحل له الغنائم، ودفع به العظائم، وبعثه إلى الناس كافة، وكلأه بحفظة لم تزل من حوله حافة، ونوله الشفاعة، وأرسله بين يدي الساعة، وصرف عنه الأذى وأنزل عليه من المنة، وكتب اسمه على العرش وعلى مواضع من الجنة، وأطال في وصفه وأطنب، وأعطاه أن لا تجوع أمته ولا تغلب، وأيده بالبراعة واللسن، وركب فيه كل خلق حسن.

تبارك من حماه ومن حباه ... بحسن الخَلْق والخُلُق العظيم
وسدد قَوله وبه هدانا ... جميعاً للصراط المُستقيم
وأغنى أهل ملته ببدر ... أتى من بحر منطقه نظيم
وصيره لمن يرجوه كهفاً ... وعرفه بأصحاب الرقيم

وآتاه جوامع الكلم وخواتمه، وملكه خوافي الفضل وقوادمه، وألبسه خلع الجلال والجمال، وأجلسه على ذُروة الشرف والكمال، وحض على الاقتداء بهديه، وأمر بامتثال أمره ونهيه، وألزم بريته بالدخول في طاعته، وحث علي اتباع سنته وجماعته، ونبه على علو شأنه لديه، وفرض الإيمان به والصلاة عليه، وأيده بالملائكة، وأبرز الخيرات على يده المباركة، وقربه وأدناه، وأوحى إليه وناجاه، وأراه من الآيات الكبرى، وكرمه وعظمه في الدنيا والأخرى، ونصب منصبه على بقاع الشرف، ورفع رتبته إلى أعلى الغرف، وأعزه بالطاعة، وأغناه بالقناعة، وقلّب له الأعيان، وأظهر دينه على سائر الأديان، وأطلعه على

سائر المعارف، وأسبغ عليه من القبول أحسن المطارف، وأولاه كثيراً من الخصائص، وحماه من العيوب النقائص، وسواه فعدل تركيبه، وأدبه فأحسن تأديبه، وعلمه ما لم يكن يعلم، وأرشده إلى حل كل مشكِلٍ ومبهم، واتخذه حبيباً وخليلاً، وأحله من دار السعادة محلاً جليلاً، وأناله من حاصل حب الحب غايةَ المطلوب، وغفر له الماضي والمستقبل إذ المحبوب لا يؤاخذُ بالذنوب.

هو الحبيب الذي أنوار طلعته تخفى إذا عاينتها الشمس والقمر
هو الإمام الذي مذْ أم طالعه سر الزمان به واستبشر البشر
قد خص بالخُلة المأنوس معهدها وبالمحبة ممن أمره قدر
لا غَرو إن عاد بالغفران مغتبطاً إن الذنوب من المحبوبِ تغتفَر

ونص على وجوب توقيره وبره، وحكم بلزوم نصحه وتعظيم قدره، وجبلَه على الصيانة والعفاف، وعدل به ميزان العدل والإنصاف، وزين به الوجود، وقلده بعقود العهود، وأفرده بإيداع سره المصون، وعضده بقرآنٍ كريمٍ في كتابٍ مكنون، وسقاه بجملةٍ من أسمائه، وختم بمسكه رحيق أنبيائه، ونوه برفعة مكانته وشرف محتِده، وأنـزله منـزلاً فاق الأفق وعلا علي فَرق فَرقَده، ومنح جانبه العزيز لينا وذاته الكريمة لطفاً، وفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صما وقلوباً غُلْفاً، ورقى به أمته إلى أرفع الدرج، ولم يجعل عليه ولا عليهم في الدين من حرج، وعرفه بما أخرج لعباده من زينته، وأوجب له النبوةَ وآدم منجدِلٌ في طينته، ولم يبعث نبياً إلا ذكر له نعته ومسلكه، وأخذ عليه الميثاق بالإيمان به ونصره إن أدركه، ولم يعط أحدا من الأنبياء فضيلة مستفادة، إلا وقد أعطاه مثلها وزيادة، وأجرى عليه من مواد الفضل ما توقف عند مجاراته الغيث وتجمد، قال جبريل: قلبت مشارق الأرض ومغار ا فلم أر رجلاً مثل محمد.

يا راغباً في حصر فضل محمدٍ خفض عليك ففضله لا يحصر
إن قلت مثل الرمل أو مثل الحصا أو مثل قطر الغيث قلنا أكثر
أكرم به مولىً علياً قَدره متقدماً كل له يتأخر
ذا رتبةٍ عند الإله عظيمةٍ معروفها بين الورى لا ينكر
صلى عليه الله ما هب الصبا من نحو روضتهِ الخطيرة يخطُر

فصل

في **ثناء الله عليه** في **كتابه العزيز** ﷺ

أخبر الله تعالى في كتابه العرب أنه بعث إليهم رسولاً من أنفسهم، علي القدر لديهم، يعرفون فضله ومكانته، ويتحققون صدقه وأمانته، عزيزاً عليه ما يهوي بهم في الهوان، حريصاً على دخولهم إلى دار أمان الإيمان، شريف النسب فيهم، رؤوفاً رحيماً بمؤمنيهم، وأناله من نيل الكرامة غاية السول، وقرن طاعته بطاعته فقال: ﴿**من يطِع الرسولَ فقد أطاع الله**﴾، وأطلع في أفق التوفيق نجمه، ورحم العالمين به فقال: ﴿**وما أرسلْناك إلا رحمةً**﴾، فمن أصابه شيء من رحمته فقد فاز، ووصل إلى كعبة النجاة من غير قطع حجاز، وحصنه من سور كتابه العزيز بأمنع سور، وسماه فيه نوراً بقوله: ﴿**قد جاءَكُم من اللهِ نور**﴾، وأرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلي الله بإذنه وسراجاً منيراً، وشرح بالرسالة صدره، ووضع عنه وزره الذي أنقض ظهره، ورفع بذكره معه في الشهادتين ذكره، وأظهر دينه على الدين كله وعظم أمره، ورمى المشركين منه بالمقعد المقيم، ونعته في أم الكتاب بالصراط المستقيم، وآتاه سبعاً من المثاني، وأكرمه بمنـزلةٍ محكمة المباني.

آتاه سبعاً شمس **آياتنا**	**أضحت بآفاق الهدى واضحه**
لهما معانٍ سرها غامض	**يعرفها ذو الصفقة الرابحه**
سور كتاب الله ماحلة	**أعظم منها سورة صالحه**
تختم **بالخير لقُرائهما**	**وهي لأبواب الرضا فاتحه**

وبعثه حِرزاً للأميين، ووضع كتاب الأبرار به في عليين، ورفعه إلى المحل الأسنى، وقربه منه ﴿**فكَانَ قَاب قَوسين أو أدنى**﴾، ونـزه لسانه عن النطق بهواه، وفؤاده عن الكذب فيما رآه، وبصره عن الزيغ والالتفات، وزكى جملته الجميلة وعصمها من الآفات، وأقسم على أنه ما ودعه ولا قلاه، ولم يقسم بحياة أحدٍ في قوله: ﴿**لعمرك**﴾ من الخلق سواه، وزوي له أرض الخيرات طولاً وعرضاً، حيث أنـزل عليه: ﴿**ولَسوف يعطِيك ربك فَترضى**﴾، وأيده بأظهر البراهين وأبهر المعجزات، وأراده في تلك الرسل بقوله: ﴿**ورفَع بعضهم درجاتٍ**﴾، ودرأ العذاب عن أهل مكة لكونه بواديهم، فقال تعالى:

﴿**وما كانَ اللهُ لِيعذبهم وأنت فِيهم**﴾، وأمر الذين هم في حلية الإيمان به مجلون، أن يصلوا ويسلموا عليه بقوله: ﴿**إن اللهَ وملائكته يصلونَ**﴾، وأعطاه الحوض المعروف بالكوثر، ورد على عدوه بقوله: ﴿**إن شانِئَك هو الأبتر**﴾، وطهره من الأقذار والأدناس، وبين عصمته في قوله: ﴿**واللهُ يعصِمك مِن الناس**﴾.

وحماه ممن كان يقصد ضره	**بيدٍ له مغلولةٍ ولسان**
ورعاه من نظر العيون بعينهِ	**وكفاه شر طوارق الحدثان**
وأمده بحراسةٍ وعنايةٍ	**محفوفةٍ باللطف والإحسان**
وهو الجدير بأن يعظّم قَدره	**عند القدير مدبر الأكوان**

وأحسن مخاطبته في سورة نون، ووعده فيها بأجر غير ممنوع ولا ممنون، وأثنى عليه ثناءً يجل أن يحمله رسول النسيم، وبالغ بالتمجيد والتأكيد بقوله تعالى: ﴿**وإنك لَعلى خلُق عظِيمٍ**﴾، وأتحفه تبارك اسمه في سورة الفتح، بجزيل الصلات الواصلات والمِنح، من ظهوره وغلبته، وعلو شراع شريعتِهِ وكلمتِهِ، وخضوع من ترفع من أعدائه وتكبر، وغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإتمام النعمة عليه، وإرسال الهداية إليه، ونصره النصر العزيز، ونصب حالَ من حوله على التمييز، وأنـزل السكينة على قلب من تابعه، ورضاه عمن تحت الشجرة من أصحابه بايعه، إلى غير ذلك مما تضمنته آيات السور المشهورة، وكم له صلى الله عليه من معارف معروفةٍ ومآثر مأثورة.

شهد الكتاب بأن أحمد مرسلٌ	**من صاحب الملكوت جل جلاله**
كم آية فيها اسمه يتلى وكم	**أخرى لأوصافه وخِلاله**
والله أقْسم صادقاً بحياته	**في محكمٍ شرح الصدور مقاله**
سبحان من أولاه أنواع الولا	**وأناله من لا يرام مناله**
أزكى الصلاةِ عليه من رب العلا	**أبداً وخصص بالتحية آله**

فصل

في مولده وشرف نسبه ﷺ

ولد النبي ﷺ بمكة أشرف البلاد، وأكرمها على الله سبحانه وعلى العباد، وفي أفق سمائها طلعت شمس طلعته الوسيمة، يا لها بلدة بركاتنا نامية، وموارد فضائلها طامية، وأركان بيتها بالأمن مأهولة، وأدعية الطائف بكعبتها مقبولة، وحظ القائم بمقامها من السعادة وافٍ، وعيش الساعي بين صفَاها ومروتنا صافٍ، طوبى لمن أقبل على حِجرها وقَبل حجرها، وبلغت نفسه من مِنى مناها وقضت من عرف عرفَة وطرها، وهو دعوةُ أبيه إبراهيم، وبشارةُ عيسى عليه الصلاة والتسليم، وصفوة سلالة قريش وصميمها، ونخبة بنى هاشم راحلها ومقيمها، وأشرف العرب بدواً وحضراً، وأفضلهم بيتاً وأعزهم نفراً، من قبل أبيه ذي النسب الزاكي نور نضرته، وجهة أمهِ ذات الحسب الزاهر ضوءُ زهرته.

إذا افتخرت قريش بالمعالي ... وبالشرف الرفيع لدى الكرامِ
فهاشمهما خلاصتها ومعنى ... عبارة مجدها بين الأنامِ
وسر صميمها من ذا يسامي ... رسول الله مصباح الظلامِ

بعثه الله من خير القرون والقبائل، واختاره من أرفع البيوت والمنازل؛ لأنه اصطفى من ولد إبراهيم الخليل، رافع قواعد البيت معه إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، ومن بني كنانة قريشاً المعروف بالشرف والمكانة، واصطفى من قريش بني هاشم، ومن بني هاشم سر السراة أبا القاسم، ولم يزل ينقله من الأصلاب المأهولة بأهلة الصلاح، حتى أخرجه من بين أبوين لم يلتقيا قط علي سفاح.

تنقلت في أصلاب أرباب سؤددٍ ... كذا الشمس في أبراجها تتنقلُ
وسرت سريا في بطون تشرفت ... بحملٍ عليه في الأمور المعولُ
هنيئاً لقومٍ أنت منهم وفيهم ... بدا منك بدر بالجلال مسربلُ
والله وقت جئت فيه وطالع ... سعيد على أهل الوجود ومقبلُ

ولا يخفى ما جرى عند مولده وانتشر، وما وافى حين مقدمه المبارك واشتهر، من ظهور النور الباهر، وتدلي النجوم الزواهر، وارتجاج إيوان ملك الفرس كسرى، وسقوط شرفاته التي كادت أن تعقد بالشعرى، وخمود نارهم الألفية، وغيض الماء من بحيرة طبرية،

وحراسة السماء بالكواكب، وإضاءة ما بين المشارق والمغارب، وأنه عليه السلام أقبل مختوناً مسروراً، وتجلى في حلل النبوة محبوباً محبوراً، واسترضع في بني سعد بن بكر، وبريء من أقوال أهل المين والمكر، وشق قلبه الحي المتقي، وغُسل بثلج الإرادة حتى نقي، وختم بخاتم من نور، تخفي بهجته الشموس والبدور، وملئ إيماناً وحكمة، وحشي بالرأفة والرحمة، ووزن بمائةٍ من أمته فرجح، ولو وزن بجميعهم لتبين ترجيحه ووضح.

نبي طَما بحر تشريفهِ — وميزان تعظيمهِ قد رجح
بمقدمهِ زالَ عنا العنا — وآب الندى والهنا والفرح
لقد رفع الله من قدره — كثيراً وللصدر منه شرح
وأورثه حكمةً حكمها — به الحق بعد الخفاء اتضح
ألا إن من يقتفي نهجه — أصاب ومقصده قد نجح

وما رفع به عن حليمة من الضير، وما حصل لها ولقومها ببركته من أنواع الخير، وما نشأ عليه من بغض الأصنام، والعفة عن أمور الجاهلية قبل الإسلام، وما ترادفت به الأخبار، عن علماء الملل والأحبار، وما عرض به الأساقف، وطرق الأسماع من الهواتف، وما أنذر به الكهان، ونقل عن القساوس والرهبان، من أنبائه وصفاته، وأسمائه وعلاماته، ونبوته وملته، وبعثته ونعت أمته، وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين، وذكر من كلام من مضى من المتقدمين، وما ألقي في التوراة والإنجيل، وبينه من أسلم من أهل الكتاب والتنـزيل، وما برز على ألسنة الأصنام وظهر، وسمع من ذبائح النصب وأجواف الصور، وما رئي مكتوباً على الحجارة بالخط القديم، من ذكر اسمه والشهادة له بالرسالة والتعظيم، ولقد خصه الله تعالى بمزايا الرتب، وأعرب عن تفضيله على العجم والعرب، ونظر إلى قلوب عباده فانتقى منها قلبه، وسبر أحوال خلقه للتقرب منه فلم يختر إلا قربه، وقسم الناس قسمين فجعله في خيرهم قسماً، وزكاه أباً وأماً وأصلاً وفرعاً وروحاً وجسماً.

لمولد خير الرسل أحمد أصبحت — وجوه الهدى وضاحةً متبلجه
وأشرقت الدنيا بأنوار بدره — وعادت به أرجاؤها متأرجه

وإيوان كسرى أسقطت شرفاته وحلت عرا أبراجه المُتبرجه
ونيرانُ بيت الفرس باخ لهيبهما وكانت لديهم ألف عامٍ مؤججه
وكم آيةٍ جاءت قرين قدومه تنير من الحق المطهر منهجه
عليه من الرحمن أزكى تحيةٍ بأفضل تيجان الصلاة متوجه

فصل

في أوصافه ونعوته ﷺ

كان النبي ﷺ عظيم الهَامة، معتدل القَامة، أزهر اللون أدعج، أهدب الأشفار أبلَج، كث اللحية واضح الجبين، مفَلج الأسنان أقني العِرنين، متماسك البدن، أزج الحواجب من غير قَرن، سهل الخدين، طويل الزندين، عبلَ العضدين، بعيد ما بين المنكبين، رحب الكفين، مسيح القدمين، أشم ضليع الفم أشنب، أطول من المربوع وأقصر من المُشذب، ليس بمطَهمٍ، ولا قصير الذقن مكَلْثَم، رجلَ الشعر لُجيني الجيد، أحلى الناس من قريب وأجملهم من بعيد، دقيق المَسربة واسع الصدر، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، الشكل ظاهر بعينيه، لا يجاوز شعره شحمة أذنيه، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا نطق أتى من جوامع الكلم بالعجب.

جميلُ الصفاتِ جزيلُ الصلاتِ غزير الهباتِ كثير الأدب
بديع الجمال رفيع المنال عديم المثال عظيم الحسب
مليح الشمائل بادي السنا بسيطُ الأنامل عالي الرتب
به أرشد الله أهلَ النهى به شرف الله جيل العرب

وكان طيب الريح والاسم، نظيف البدن والجسم، أطيب ريحاً من العنبر، وأذكى عرفاً من المسك الأذْفر، يتضوع طيباً، ويهتز غصناً رطيباً، تختفي من شذاه جونة العطار، وتتأرج بنشره الأرجاء والأقطار، يصافح الرجل فيظل يومه يجد في كفه نشرا، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان عطرا، ما مشى من طريق فمشى فيه أحد من بعده، إلا عرف أنه سلَكه من ريحه الذي لا ند لنده.

وجه الوجود بنور أحمد مشرق وبعرفـه أرجـاؤه تتأرج
الطيب يطْوى عند فائح نشره والروض يخفي زهره المتبرج

وكان دمث الأخلاق، غزير الإرفاد والإرفاق، خافض الطرف سائلَ الأطراف، جزيل المحاسن جميل الأوصاف، ثابت الأساس، قوي الحواس، يرى الشياطين ويرى الملائكة، وكما يبصِر في الضوء يبصِر في الظلمة الحالكة، وينظر من ورائه كما ينظر من بين يديه، ويرى في كف الثريا أحد عشر نجماً إذا نظر إليه، ضحكه التبسم، وشيمته

التكرم، يفْتر عن مثل حب الغمام، ويبدأ من لقيه بالسلام، يخرج النور من بين ثناياه، ويغار النسيم من لطف سجاياه، الملاحظة جلّ نظره، والمناصحة غاية وطَره، يمشي هوناً لا سريعاً، وإذا التفت التفت جميعاً.

أكـرم بـه ذا وقـار يمشي على الأرض هونا
عند المهمات ذخراً وفي الملمات عونا
سـاد النبيين طُراً عِلماً وفضلاً وصونا
لأن بين علاهم وبين علياه بونا

وكان طويل السكوت، مواظباً على القنوت، دائم الفكرة، ملازم العبرة، متواصل الأحزان، متحلياً بالعدل والإحسان، لا يعجبه من مالَ إلى المال ولَهى، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، يعظم النعمة وإن دقت، ويصبر على المحنة وإن شقت، من رآه بديهةً هابه، ومن خالطه معرفةً أحبه ولزم بابه، لم ير أحسن منه منظراً، ولا أطيب خبراً ومخبراً، يبادر إلى قضاء حاجة من يبتغي فضله، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله

من أين يوجد قبله أو بعده مثل له وهو الحبيب المصطفى
الله فضله وحسن خلْقه مع خلُقِهِ وبه الأذى عنا نقَى
طوبى لمن بجميل سيرتِهِ اقتدى وطريق سنتِهِ المعظمة اقْتفَى
صلى عليه منير بدر صفاته ما لاح في الآفاق نجم واختفَى

فصل
في فصاحتِهِ وأدبِهِ وحلمِهِ ﷺ

كان رسول الله ﷺ يعرف ألسنة العرب، ويعلم لغة من بعد منهم واقترب، ويخاطب كل طائفة منهم بلسا ا، ويجري مع كل فرقة في ميدان بيا ا، فصاحته إليها المنتهى، وبلاغته حيرت ألباب أرباب النهى، وجوامع كلمه مأثورة، وبدائع حكمه مشهورة، وعيون معانيه منسجمة، ودرر ألفاظه منتظمة، وإيجاز مقاطعه يطْرب الأسماع، وحسن منازعه لا شك فيه ولا نـزاع، وطلاوة قوله تجل من الصفة، وحلاوة منطقه لا يذوقها إلا أهل المعرفة، أُنـزِلَ القرآن الكريم بلسانه، تعظيماً لأمره ورفعة لشأنه، ما أعذب لفظه، وأنفع وعظه، وأجزلَ فوائده، وأجمل فرائده، وأبلغَ خطابه وخطبه، وأبدع رسائله وكتبه، نشأ في بني سعد ورتبته في قريش عالية، فجمع من الكلام رونق الحاضرة وجزالة البادية، وأيد ببراعة خصه ا من حكم بتوفير قسمه، ولَسنِ مدده الوحي الذي لا تدركه البشر ولا يحيطون بشيء من علمه.

محمد أبلغَ العرب الذين مضوا — نعم وأفصح من بالضاد قد نطقَا
جوامع الكلم المأثور طيبها — آتاه من أوجد الإصباح والغسقَا
لله ألفاظه اللائي لنا نشرت — جواهر العلم من تبيا ا نسقَا
من قال إن رسول الله ليس له — كُفْؤ من الناس في الدارين قد صدقَا

وكان ذا آداب شريفة، ومعارف منيفة، ونظر ثاقب، ورأي صائب، وظن صادق، وحدس موافق، وسياسة شاملة، وحماية كاملة، وفضائل مقصودة، وأخلاق محمودة، دينه الإيمان، وخلقه القرآن، يسخط لسخطه ويرضى لرضاه، ويحذو حذوه ويهتدي داه، بعث ليتمم مكارم الأخلاق، ويرحض شقة الأرض من دنس النفاق، مقرراً للشرائع، حافظاً للودائع، مجتهداً في المصالح، رائضاً للجوامح، ناظراً في المهمات، رافعاً أثقال الملمات.

آداب خير الرسل قد قارنت — أخلاقَــه الحُســنى وتذيبــه
لا يحصر الخاطر أوصافَها — ولــو أثــار الفكــر تلهيبــه
وكيف لا والله ذو العــرش إذ — أدبــه فأحســن تأديبــه

وكان النبي ﷺ غزير الحلم والاحتمال، كثير الفضل والإفضال، يصل من قطعه، ويعطي من منعه، ويبذل لمن حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويغض طرفه على القذى، ويحبس نفسه عند الأذى، ولا ينتقم مع القدرة، ويصبر على ما يشق ويكره، ولا يزيد مع أذى الجاهل وإسرافه إلا صبراً وحلماً، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، ولم يؤاخذ الذين كسروا رباعيته وشجوا محياه، وقصدوا خفض المرفوع من عرفه ورياه، بل دعا لهم واعتذر عن جهلهم، وعفا عنهم وكم عفا عن مثلهم، وتجاوز عما بدا من المنافقين في حقه قولاً وفعلاً، ولم يقابل من شتمه ولا من أراده بسوء طَولاً، وفضلاً، وكم أعرض عن جاهل ومعاند، وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد، وصبر على مقاساة الجاهلية، وعلى ما لقي منهم من الشدة والبلية، إلى أن سلطه الله عليهم، وحكّمه فيهم وأظفره بما لديهم.

كان النبي الذي وافت شمائله	**بالحلم مؤتزراً والصبر مشتملا**
يعفو ويصفح فضلاً بعد مقدرة	**ويحبس النفس عند الشر محتملا**
وما يقابلُ من يأتي بمظلمةٍ	**في حقه معرضاً عن قول من جهلا**
وكم غدا آمراً بالعرف مجتهداً	**وكم أنال وكم أعطى وكم بذلا**
تفصيل تفضيلهِ لا ينتهي أبداً	**يا ذا الولاءِ فخذ أوصافَه جملا**
مِني عليه سلام نشره عطر	**ما سار بدر الدجى في الأفق منتقِلا**

فصل

في جوده وكرمه وشجاعته ﷺ

كان النبي ﷺ عالي الهمم، وافر الفضل والكرم، طويلَ الباع، مديد الذراع، سبط الأنامل، كريم الشمائل، جميل العواطف، جليل المعارف، محباً للحياء، مطبوعاً على السخاء، سهل الإنفاق، جزلَ الإرفاق، مهتماً بصلة الأرزاق، أين منه الغيثُ المغيث والبحر الغيداق، يحقق الوسائل، ولا يخيب أمل الآمل، يبذل الرغائب، ويعين علي النوائب، يحمل الكَل ويكْسِب المعدوم، ويجري سيل السيب على السائل والمحروم، ويمد أطناب الرفد وأوراقه، ويعطي عطاء من لا يخشى الفاقة، وينيل من أخلد إليه ما لم يكن في خلَدِه، ولا يدخر شيئاً من يومه لغده، أسخى من الغمائم المثقلة، وأجرى بالخير من الريح المرسلة، ظلال عطاياه مديدة، وحلل مكارمه لا تبرح جديدة، تمتار السحائب من يم أياديه، وترع الركائب إلى ندى ناديه، ما سِئل عن شيء فقال: لا، ولا أعرض عن طالب عرض ولا قلا، أعطى رجلاً سأله غنماً بين جبلين، ولم يزل معروفه معروفاً عند الثقلين، وقسم في مجلس واحد تسعين ألف درهم، وكم أنجد بعطائه من أنجد ومن أتهم، وأعطى مائة من الإبل غير واحد من العرب، وجاد للعباس بما لم يطق حمله من الذهب، ورد سبايا هوازن وكانوا ستة آلاف، وخبر ما منح به صفوان وغيره عن علم الرواة غير خاف.

لقد كان المُقفى سيلَ سيبٍ	**وبحر تكرم وسحاب وبل**
طويلَ الباع منشرح العطايا	**وسبطَ الكف ذا جودٍ وفَضل**
شريف المنتهى جزل الأيادي	**حليف تقى وإحسان وعدل**
يجود على العفاة بلا سؤال	**وينجز وعده من غير مطْل**
له شيم وأوصاف حسانٌ	**يفوح عبيرها في كل حفل**
يجل من البرية عن نظير	**وعن كفوٍ يقاس به ومثل**

وكان ذا شجاعة ونجدة، وبسالة وشدة، وبأس وشهامة، وحماسة وصرامة، وصولة وإقدام، وإرغام للضرغَام، يشتت شمل الكُماة، ويهتك وجوه الحماة، ويبطِلُ حيلة الأبطال، ويفرق جمع الأفيال، نفوذ النبال من شدة عزماته، ومضاء المُرهفات من صدق

رأيه وخفق راياته، أذهب الشك بحق اليقين، وأرهب العدى بسيفه المتين، وسفه أحلامهم، ونكس أعلامهم، وزيف أقوالهم وأفعالهم، واستباح أرضهم وديارهم وأموالهم، وأباد أهل العناد بعضِبه البتار، وأظهر دين المسلمين بصحبه الأشداء على الكفار، غزواته معدودة، ومشاهده مشهودة، وحروبه لا تنكر، ومواقفه أشهر من أن تذكر، حضر الوقائع الحامي وطيسها، وشهد الملاحم العرمرم خمِيسها، وتولى الكُماة عنه وهو مستقرٌ غير مرة، وفر المسلمون من حوله يوم حنين فرة مرة، وهو ثابتٌ لا يبرح، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح، قائلاً: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"، ما قَرب منه أحدٌ إذا التقى الجمعان، إلا وعده من أشد الكُماة والشجعان، وما لقي كتيبةً إلا وكان أول ضارب، ولا تواثب القوم لوقوع صوتٍ إلا وكان أسرع واثب، لم ير أثبت جأشاً منه في الجهاد، ولا أقرب إلى جهة المشركين منه وقت الجِلاد، قال ابن عمر: "ما رأيت أشجع ولا أنجد، ولا أسخى من رسول الله ولا أجود" وقال علي: "كنا نتقى برسول الله إذا اشتد البأس واحمرت الحدق"، وفي هذا الحديث الحسن ما فيه مما يخطب كاعب السرور ويجلب غائب النوق.

بأس وشدة نجدة **و**حماسة	**ركب**ن في **من وجهه** يجلو **الغسق**
ذاك النبي المُ**صطفى** الهادي **الذي**	**سبق النبيين الكرام** بما **سبق**
كم شت شمل **المشركين بسيفه**	**وأحلهم سجن الحفيظة والحنق**
كم ألبوا وتجمعوا للقائه	**فتفرقوا لما رأوه من الفَرق**
من قال إن محمداً **أوفى الورى**	**يوم الوغى عزماً وإقداماً صدق**
صلى عليه المالك القدوس ما	**هتف الحَمام الورق ما** بين **الورق**

فصل

في حيائه وأنسِهِ ولطفِهِ وشفقته ﷺ

كان رسول الله ﷺ أكثر الناس حياء، وأوفرهم عن العورات إغضاء، وأوسعهم صدراً، وأنورهم بدراً، وأجملهم وصفاً، وأجزلهم لطفاً، وأعطفهم نائلاً، وألطفهم شمائل، وألينهم عريكة وأكرمهم عِشرة، وأحسنهم أدباً وأ جهم نضرة، وأظهرهم ِبشراً وأنساً، وأبسطهم خلقاً وأطيبهم نفساً، أشد حياء من العذراء في خدرها، وألطف من نسمات الأسحار عند هبو ا ومرها، ليس بفظٍ ولا غليظٍ ولا صخاب، ولا فحاش ولا مداح ولا عياب، يؤلف الناس ويحسن إليهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، لا يطوي عن بشرٍ ِبشره، ولا يشافه أحداً بما يكره، ولا يثبت بصره في وجه أحدٍ من حيائه، ولم ير قط ماداً رجليه بين جلسائه، ويتفقد أصحابه، ولا يغلق على الوفد أبوابه، ولا يقطع عن أحد حديثه، ولا يمنع عن الملهوف سحبه المغيثة، ولا يعدل عمن جالسه لحاجة ولا ينحرف، ولا ينصرف عنه حتى يكون هو المنصرف، وما التقم أحدٌ أذنه فنحى رأسه حتى يتنحى المُلتقم، ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه لما يرى من إحسانه المُرتكم.

له سير مأثورة سار ذكرها ... وبشر لمن يلقاه لاحت بشائره
وأنس يرى الإنسان منه مسرة ... وفيه رجاء طار في الحي طائره
وبسطةُ نفسٍ للنـزيل نفيسةٌ ... وغيث يجيب الغوثَ عمت مواطره
أيا من يروم الحصر من نعت أحمد ... أَفِق فهو بحر لا تعد جواهره

وكان يقبل الهدية ويكافئ عليها، ويثابر على المعونة ويسارع إليها، ويجيب دعوة المسكين والمسكينة، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويخفف الصلاة بسبب طالب الحاجة، ويكثر إلى التغافل معاده ومعاجه، ويقابل عذر المعتذر بالقبول، ويطلع لزائره نجوم إكرامٍ ليس لها أفول، ويؤثر من يدخل عليه بوسادته، ولا يخرج في مكارم الأخلاق عن عادته، ويدعو أصحابه بكناهم وأحب أسمائهم، ويميل إلى مخاطبتهم ومحادثتهم ومداعبة أبنائهم، ولا يجيب أحداً منهم ومن أهل بيته إلا بالتلبية، ويعم كلاً من جلسائه من مودته بالتسوية، ويجرى على من أمه وأمله نيل النول، ولا يرد ذا الحاجة إلا ا أو بميسور من القول، قال أنس رضى الله عنه: "خدمته عشر سنين فما قال لي لشيء صنعته لم صنعته، ولا لشيء

تركته لم تركته".

رسولُ حلمٍ ورحمـةٍ ورضـاً	**مقدس الخُبر طيـب الخَبـر**
أنس وحيدٍ وغيـثُ منتجـعٍ	**كهف طريدٍ وعـونُ مفتقـرِ**
يكـرم أصـحابه وزمرتـه	**ويلتقيهم بأحسـن الصـورِ**
ماذا يقـول البليـغُ مجتهـداً	في **حقه وهـو سـيد البشـرِ**

وكان ذا شفقة تامة، ورأفة عامة، ورحمة شاملة، وحنو سحائبه هاملة، يحب الرفق ولا يعدل عن جهاته، وإذا سمع بكاء الصبي تجَوز في صلاته، ويأمر بالحسنة ويدنى أهلها، ولا يجزى بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح، ويتجاوز عن المسيء ويسمح، ويدفع بالتي هي أحسن، ويأتي من المعروف بما أمكن، ويصل الرحم ويقري الضيف، ويقطع أسباب الحَتف والحَيف، ويحرص على دخول المسلمين إلى دار السلامة، قال ابن مسعود: "كان يتخولنا بالموعظة مخافة السآمةَ"، خفف عن أمته وسهل، وتوقف فيما يشق عليهم وتمهل، وبالغ في إسداء الإحسان إليهم، وكره أشياء مخافة أن تفرض عليهم، وأَطْلَع لهم شفقاً من الشفقة لا يغيب، وخصهم من مناهل خيره وموارد ميره بأوفر نصيب.

يا أمة المختار بشراكُم	**بالفوز من قرب الحبيب النسيب**
المحسن الهادي البشير الذي	**خفف عنكم كل أمرٍ عصيب**
وكثر الخير عليكم ومن	بحر **القرى جاءكم بالعجيب**
صلى عليه الله ما غَردت	حمامةٌ **من فوق غُصنٍ رطيب**

فصل

في وفائه وتواضعه وعدله ووقاره ﷺ

كان النبي ﷺ أجمل الناس وداً، وأحسنهم وفاء وعهدا، وأعدلهم حكما، وأسعدهم نجماً، وأعلاهم منالاً ومناراً، وأوفاهم سكينة ووقارا، وأوفرهم للحقوق ذكرا، وأكثرهم تواضعاً وأقلهم كبرا، وأظهرهم بشرا، يركب الحمار ويردف خلفه، ويبدي للفقير والمسكين لطفه، ويأكل مع الخادم، ويبادر إلى خِدمة القادم، ويرقع ثوبه ويخصف نعله، ويقُم بيته، ويخدم أهله، ويحلب الشاة ويعقل البعير، ويجيب إذا دعِي حتى إلى خبز الشعير، ويتوكأ على العصا، ويضطجع علي الرمل والحصا، يحمل بضاعته من السوق، ويقوم بما يتعين عليه من الحقوق، ويرى أن حسن العهد من الإيمان، ويعامل من أكرم أصحابه بأتم الإحسان، وينظر في حال المديون والمفلس، ويجلس حيث انتهى به المجلس، ويكره أن يقَام له إذا أتى، وينصف المظلوم ممن تعدى عليه وعتا، وسكن من ريح العز والكبرياء عجاجتها، وينطلق مع الأمة حيث شاءت حتى يقضي لها حاجتها، حج على رحلٍ رث الهيئة والصورة، وأهدى مائة بدنة في تلك الحجة المبرورة، وأدار في سماء السعادة لنجوم أصحابه فَلَكًا، واختار أن يكون نبياً عبداً لا نبياً مِلكاً، على أنه سيد البشر بلا شكٍ ولا ريب، وأكرم الخلق على عالم الشهادة والغيب.

كان الرسولُ المُصطفى ... أوفى الأنامِ بعهدِهِ
وأجلهم قدراً وأكـ ... ـرمهم بخالص ودهِ
وأسرهم بِشراً وأنـ ... ـجزهم لصادق وعدِه
متلطفاً متعطفاً ... متواضعاً في مجدهِ
يسعى لخدمة ضيفه ... ويرى السماح برفْدِه
والحق يتبع دائماً ... في حله أو عقْدِه

وكان أكثر الناس أمانة، وأجزلهم عفة وصيانة، وأنضرهم جة، وأصدقهم لهجة، وأجملهم سراً وإعلاناً، وأغزرهم عدلاً وإحساناً، صادقاً في الكلام، صادعاً بالحق في الأحكام، أميناً في السماء والأرض، مكيناً عند من إليه النشور والعرض، وعده مقرون بالإنجاز، ولفظه مشتمل على الإيجاز، لا يأخذ أحداً بقرف أحد، ولا يقبل على من مال

إلى العناد وعند، يحكم عدلاً، وينطق فضلاً، ويشفع فرض الصلاة بنفلها، ويؤدي الأمانات إلى أهلها، تعرف الجاهلية فضله قبل الإسلام، وكانوا يتحاكمون إليه في النقض والإبرام، يشهد وليه وعدوه بعلمه وعدله، والفضل ما شهدت به الأعداء لأهله.

نعم يعرفون الفضل منه وكيف لا ... وقد عاينوا منه الأمانة والعدلا
ويكفيه أن الله أنـزل فضله ... وفي محكم القرآن أوصافه تتلى

وكان ذا مروءة وافرة، وتؤدةَ عن وجه السداد سافرة، جزيل الصمت والوقار، جميل المآثر والإيثار، يرعى حق الصحبة القديمة، ويجود بجود نعمه العميمة، ويتعطف على ذوي رحمه برحمته وصلاته، ويتلطف بالصغار من أولاد أولاده حتى في صلاته، ويأمر باستعمال خصال الفطرة، ويسكت على الحلم والحذر والتقدير والفكرة، ويسكن إلى قلة الكلام ويميل، ويعرض عمن تكلم بغير جميل، مجلسه مجلس هدى وعلم، ومحل خير وحياء وحلم، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تذكر فيه العورات، ولا تؤبن في حرمه الحُرم، ولا تخفَر في أرجائه الذمم، إن تكلم أطرق جلساؤه، وإن صمت زاد وقاره و ماؤه، لا يكاد يخرج في مجلسه شيئاً من أطرافه، ولا يعدل عن طريق عدله وأدبه وإنصافه.

يا حبذا أوصاف عدلٍ منصف ... قد حارت الأفكار في أوصافهِ
ولاح أبواب المروءةَ والحيا ... فراج ضيق المُعتفى كشافهِ
ذي مجلسٍ لا يحتوى إلا على ... قَرِمٍ يسر بملتقى أضيافهِ
العلم في أقطاره والحلم في ... أرجائه والسلم في أكنافهِ
صلى عليه إلهُه ومحبه ... ما لاح برد الروض في أفْوافهِ

فصل

في زهده وقناعته وعبادته ﷺ

كان رسول الله ﷺ زاهداً في الدنيا، نازلاً من تركها بالمنـزلة العليا، متنـزهاً عنها، متقللاً منها، معرضاً عن زهرتها، غير ناظر إلى نضرتها، متحلياً بالطاعة، متلفعاً بمروط القناعة، مزيناً بالعفاف والكفاف أحواله وأموره، مقتصراً من نفقته وملبسه على ما تدعو إليه الضرورة، يلبس البرد الغليظ والكساء والشملة، ويقسم حلل الديباج على أصحابه حلة بعد حلة، عيشه طَليف، ومأكله طفيف، وملبسه خشيف، وفراشه من أدم حشوه ليف، يقل المنام، ولا يستكثر من الطعام، يبيت جائعاً طاوياً، ويصبح صائماً خاوياً، لا يسأل أهله طعاماً، ولا يظهر لهم عَرثاً ولا أواما، إن أطعموه أكل، وإن سقوه قنع بالنهل.

زهد عظيم واقتصار زائد في **مأكلٍ ومشربٍ وملبس**
وعفةٌ يتبعهما صبر على **صوم النهار وقيامِ الحِندس**
وفرط إعراض عن الدنيا وما **تلهى به من وشيها المدلس**
يا سيد الرسل ويا أعلى الورى **منـزلة تفديك كل الأنفس**

ما أكل قط على خوان، ولا خبز له المرقق حيناً من الأحيان، ولا شبع من خبز شعير يومين متواليين، ولا من خبز بر ثلاثة أيام تباعاً حتى أدركه الحَين، ولا رأى أبداً لحم شاة سميط، ولقد نام أحياناً على سريرٍ مرمول بشريط، وما خلف ديناراً ولا درهماً ولا نفقة، ولم يترك إلا سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة، هذا وقد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح الكنوز، وأُبرز له من الإبريز كل محجوب ومحجوز، وأظلته غمائم الغنائم، وجاءته هدايا أهل التيجان والعمائم، وحملت إليه الجزي والصدقات، وانثالت عليه الأموال والنفقات، وسيقت إليه الدنيا بحذافيرها، وترادفت عليه الفتوحات بجماهيرها، فقابل الإيراد من ذلك بالإصدار، وما استأثر منه بدرهم ولا دينار، بل أنفقه في الخير، وأغنى به فاقة الغير، وفرقه في مصالح المسلمين، وكف به أكُف المشركين، وبذله لطالب رِفْدِه وقاصد نواله، حتى إنه توفى ودرعه مرهونة في نفقة عياله.

نبي **وافت الدنيا إليه** **وجاءته مفاتيح الكنوز**

ومالت نحوه فأبى عليها — وقابلها بإفراط النشور
تجنبها وأعرض عن جناها — ولاذ بجانب الملك العزيز
رعاه الله مختارا هدانا — إلى المنهاج باللفظ الوجيز

وكان شديد الخوف والعبادة، وافر الطاعة والمحبة والإفادة، طاعته نظير حبه، وخوفه على قدر علمه بربه، عمله ديمة، وطريقته مستقيمة، يصلي طويلاً، ويقوم الليل إلا قليلاً، ينام على شقه الأيمن بغير مهاد، ليستظهر على قلة النوم والرقاد، يراقب من يحاسب على الدرة والذرة، ويستغفر الله تعالى في اليوم مائة مرة، قام حتى انتفخت قدماه، وهجر الطعام في الهواجر طاعة لمولاه، المحبة أساسه، والصبر لباسه، والزهد حرفته، والصدق سجيته، واليقين قوته، والرضا مطيته، والمعرفة رأس ماله، والطاعة منتهى آماله، والشوق مركبه والفكر أنيسه، والثقة كنـزه والحزن جليسه، والفقر فخره والعقل مصباحه، والجهاد خلقه والعلم سلاحه، وقُرة عينه في الصلاة، وثمرة فؤاده ذكر من لا إله سواه.

الخوف مألفُه والصبر مطرفُه — والعلم مرهفه والشوق مركبه
عبادة الخالق الجبار همته — وطاعة الواحد القهار مطلبه
وديمةُ العمل المبرور شِرعته — ومذهب الحق والإيمان مذهبه
أزكى التحيات مِنى لا تفارقه — ما طاب من سلسل الأمطار مشربه

فصل

في الإسراء به وعروجه إلى السموات ﷺ

﴿**سبحانَ الذِي أسرى بِعبدِهِ لَيلاً**﴾، وسحب له على سحب المعالي ذيلا، ونقله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأتحفه من نعمه الظاهرة والباطنة بما لا يحصر ولا يحصى، أُتِي ﷺ بالبراق، فركبه ليخترق به السبع الطباق، وهو دابة أبيض طويل، يضع حافره عند منتهى طرفه الكحيل، فلما وصل بيت المقدس صلى في مسجده امتثالاً للأمر، وأصاب الفطرة باختياره اللبن دون الخمر، ثم عرج مع جبريل إلى السموات، ومنح في العالم العلوي بأعلى الدرجات، ورأى آدم في السماء الدنيا، وفي السماء الثانية عيسى ويحيى، وفي السماء الثالثة يوسف الصديق، وفي الرابعة إدريس الحقيق بأسرار التحقيق، ولقى هارون في السماء الخامسة، وأخاه موسى في السماء السادسة، وفي السابعة إبراهيم المشهود فضله المشهور، وإذا هو مسند ظهره إلى البيت المعمور، يا له بيتاً يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه إلا بمشيئة من أدار الفلك، واستأنس بالأبوين والإخوة وابني الخالة، وكل منهم أشار إلى صلاحه ورحب به ودعا له، وعند كل سماء يستفتح جبريل فيفتح له الباب، ويسألُ عن بعثة من معه فيرد على سائله الجواب.

ركب البراق محمد ليلاً ولم	**يركبه أفضلُ منه عند الخالق**
ورقى ليحظى بالنعيم من اللقا	**والقرب مخترقاً لسبع طرائق**
ورأى النبيين الكرام ورحبوا	**بقدومه ترحيب خلٍ صادق**
وسما إلى رتبٍ هناك يحار في	**أوصافها فكر البليغ الحاذق**

ثم ذهب به جبريل إلى سدرة المنتهى، ذات الأغصان الوريقة والثمر المشتهى، وهي شجرة تخرج أ ار الجنة من أصلها، ويسير الراكب سبعين عاماً في ظلها، وإليها ينتهي ما من الأرض يعرج، وما يهبط من فوقها عندها يقف ومنها يخرج، فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت، فما أحد يستطيع نعت حسنها الذي لو أدركته الأبصار لتحيرت، فأوحى الله تعالى ما أوحى إليه، وفرض ما فرض من الصلاة عليه، ثم تصدق برحمته وخفف، وزاد الأجر مع التخفيف وضعف، بعد أن كلمه في ذلك موسى شكر الله علو هِمته، وأشار عليه بسؤال الله تعالى في التخفيف عن أمته، ورفعه حتى بلغ مستوى يسمع

فيه صريف الأقلام، وملأ في الملإ الأعلى أذنيه من ترجيع الكلام.

وأنـزله في **روضة القرب والرضا**   **وأكرمه بالمنـزل الأفضل الأسنى**
دنا فتدلى وهو خير مقّربٍ   **فكان اقتراباً قاب قوسين أو أدنى**

وعظمه بإمامة أهل السماء، وقدمه للصلاة بالملائكة والأنبياء، وأحضره لمشاهدة حضرته، وكشف له حجب غيبه وقدرته، وأعانه على معاينة النور الأعظم، وأعلم المقربين إليه بأنه أفضل خلقه وأعظم، وأسمعه الأذان من لفظ ملَك الحجاب، واستخرج لرؤيته من بحر قدرته ما يقضى له بالعجب العجاب، وأكرم له المثوى، وأدخله جنة المأوى، وأوضح له الطرائق، وأظهره على الحقائق، وأودعه الأسرار المكنونة، وأطلعه على الغرائب المخزونة، وأشهده عجائب سلطانه وملكوته، وأفرده بالنظر إلى عظمة كبريائه وجبروته، وشمله بعنايته الوافرة وألطافه الخفية، وأدناه دنواً تنقطع عنه الكيفية، ومهد له بساط التلطف والتأنيس، وأعلاه على المقرون من أهل التسبيح والتقديس، وأراه من آياته الكبرى، وذكره فيمن عنده إن في ذلك لذكرى.

نبي قـد سـرى لـيلاً   **فسبحان الذي أسـرى**
نـبي قـد أراه الله   **مـن آياتـه الكـبرى**
نـبي خـص بالعليـا   **ورتبتـه ـا أحـرى**
نـبي جـاء بالإيمـا   **ن والإحسان والبشرى**
نـبي شـامخ المقـدا   **ر في الدنيا وفي الأخرى**
سـلام الله موصـولٌ   **به ما دامت الشـعرى**

فصل

في تعظيمه وتكريمه يوم القيامة ﷺ

النبي ﷺ أول الناس خروجاً إذا نشروا، وقائدهم إذا حشروا، ومبشرهم إذا يئسوا، وشفيعهم إذا حبسوا، وخطيبهم إذا أنصتوا، ومنجدهم إذا ذهلوا في ذلك اليوم و توا، لواء الحمد بيده المعيرة للغيث وأنوائه، وما من نبي- آدم فمن سواه- إلا تحت لوائه، وهو أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يدخل الجنة بمن معه يوم العرض، وأفضل السابقين، وأكرم عباد الله الصادقين، وخير أصحاب اليمين، وأجل من نـزل عليه الروح الأمين، وهو صاحب الحوض الشهير بالكوثر، الذي ريحه أطيب من المسك الأذفر، وحافتاه قباب اللؤلؤ المتسق، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الورِق، طوله ما بين أيلة إلى عمان، يشخب فيه من الجنة ميزابان، أحدهما من اللجين، والآخر من خالص العين، كيزانه كنجوم السماء جة وعدداً، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

حوض بعيد المدى أرواح مورده ... تفوح بالطيب يا طوبى لمن ورده
يأتيه ماء من الفردوس مطرد ... أحلى من الشهد يحيى نفس من شهده
كيزانه كالنجوم الزهر طالعةً ... أوصافه بمزايا الحسن منفرده
من أمه داخلاً في ظل صاحبه ... قد هيأ الله في الأخرى له رشده

وهو أول شافع وأول مشفع، وأول من يقول فينصت لقوله ويسمع، وهو أعظم الأنبياء أجرا، وأرفعهم ذكرا، وأ رهم آية، وأبعدهم غاية، وأبدعهم تبياناً، وأقطعهم برهاناً، وأجلهم مقداراً، وأعزهم أنصاراً، وأجزلهم حمداً وشكراً، وأوفاهم توكلاً وصبراً، وأعلمهم بالله وصفاته وأسمائه، وأكملهم قلباً بعظمته وجلاله وكبريائه، وأعرفهم بشريعته وأحكامه، وأفهمهم لمعاني وحيه وكلامه، وأغزرهم إحاطة بالمدارك العقلية، وأقر م مجلساً من الحضرة القدسية الإلهية، وأظهرهم سمة وعلامة، وأكثرهم تبعاً يوم القيامة، يوم يؤتى الوسيلة المحفوفة بأصناف المِنة، قال أبو هريرة: هي أعلى درجة في الجنة، يوم يعطي ألف قصر من اللؤلؤ ترا ا المسك السحيق، وفيها من الأزواج والخدم ما يصلح لمثله وبه يليق.

يوم يقوم الناس أفواجاً إلى ... باريهم ذي العز والتنـزيه
يوم المآب والحساب واللقا ... يوم يفر المرء من أخيه

يوم يصير الناس فيه حيارى، ويرون سكارى وما هم بسكارى، يوم يلجأون إليه في أمر الشفاعة، حيث يرون تأخر غيره عنها وانقطاعه، يوم يقوم عن يمين عرش الرحمن، ويكسى حلة خضراء معلمة ببلوغ المنى والأمان، ويؤذن له فيقول ما شاء الله أن يقول، ويفتح عليه من الحمد والثناء ما وردت به النقول، يا له موقفاً تقصر عن الوصول إليه المقربون، ومقاماً محموداً يغبطه فيه الأولون والآخرون، يشفع لأكثر مما في الأرض من شجر، ولأزيد مما حملت علي ظهرها من حجر، ويشفع في تعجيل من لا حساب عليه إلى دار القرار، وفيمن وجب عليه العذاب وأدخل إلى النار، وفيمن تلفظ بالشهادة المعظمة، وهذه المنـزلة الجليلة لا تحمل لغير ذاته المكرمة، وكم حوى فضيلة ليس له فيها من الخلق مشارك، على أنه ﷺ لم يفتخر بشيء من ذلك، شكر الله جميل سعيه وأثيل همته، وجزاه الله أفضل ما جزى نبياً عن أمته.

رسولٌ له يوم القيامة منـزلٌ	**علي الذرى أعلامه الزهر تلمع**
وموقف قربٍ لا يدانيه غيره	**يقول فيه الذي يقول فيسمع**
ويسأل والباري يجيب سؤاله	**ويشفع فيمن جاءه فيشفع**
نبي أبي كان ينهى عن الأذى	**ويأمر بالحسنى وبالحق يصدع**
عليه سلام الله ما لاح بارق	**وما ا ل من جفن السحائب مدمع**

فصل

في أسمائه وكناه وألقابه ﷺ

أسماء النبي ﷺ وألقابه كثيرة، وأوصافه حوت درر المحاسن ولم تغادر منها صغيرة ولا كبيرة، فمن أسمائه محمدٌ وأحمد، وهما اسمان مخصوصان بالطالع الأسعد، منع الله تعالى أن يسمى بما قبل زمانه أحدٌ من الناس ؛ لئلا يدخل على القلوب الضعيفة شك والتباس، وهو أحمد الحامدين والمحمودين وأكثر الناس حمدا، وهو حامل لواء الحمد يوم يحشر المتقين إلى الرحمن وفدا، ومنها الماحي والحاشر، والمقدس والطاهر، فالماحي الذي يمحي الكفر بكلمه، والحاشر الذي يحشر الناس على قدمه، والنجم الثاقب، والمصلح والعاقب، وهو الذي لا نبي بعده، ولا يعقب جزر ذي رسالة مده، والشاهد والمبشر والنذير، والداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، والمُقَفى والقُثَم والقَثُوم، وهذا الاسم الأخير في آل بيته معلوم.

يا سيداً أسماؤه قد سمت ... وفي معانيه تحار الحُلُوم
ومن حوت أزهار ألقابه ... نشر شذى تطوى عليه الرقوم
ومن له فضلٌ أياديه لا ... تحصى، وهل تحصى دراري النجوم؟!
أنت الذي أنوار أعلامه ... تدي إلى الحكمة أهلَ العلوم

ومن أسمائه المدثر والمزمل، والمختار والمتوكل، والرؤوف الرحيم، والصراط المستقيم، والحق المبين، والصادق الأمين، فالحق هو المُحقق صدقه وأمره، والمبين الذي بين ما بعثه به من جل ذكره، وطه ويس، ورحمة للعالمين، وسيد المرسلين، وخاتم النبيين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، ونعمة الله على الخلائق، وعبد الله المعبد للطرائق، ونبي الرحمة والمرحمة، ورسول التوبة والملحمة، وهي إشارة إلى ما بعث به من القتال، وما أمر به من ردع المشركين بجد النضال وحد النصال، وخليل الرحمن، وحبيب الملك الديان، ومقيم السنة وروح الحق، والشفيع المشفع في الخلق، وصاحب الوسيلة، والدرجة الرفيعة والفضيلة، والحوض المورود، والمقام المحمود، والبراق والمعراج، والهراوة والتاج، وما المراد به تاج ملك موه بالذهب، بل العمامة لأن العمائم تيجان العرب.

بك يا رسوله الله يا علم الهدى ... تشرف الألقاب والأسماءُ
وبيمن طالعك السعيد قدومه ... ذَهب الظلام وآبت الأضواءُ

وبنصر نصلك سر كل موحدٍ وبعز عزمك ذلت الأعداءُ
سقياً لأمتك التي طابت لهم بنبيهم بين الورى الأنباءُ

وهو ﷺ ذو الحجة والسلطان، والعلامة والبرهان، ورب اللواء والقَضيب، وراكب الناقة والنجيب، وسيد ولد آدم، والمهيمن والفاتح والخاتم، والمصطفى والمجتبى والكريم، وأبو القاسم وأبو إبراهيم، والنبي الأمي والهادي والنور، والعروة الوثقى التي من تمسك بها نال الغبطة والسرور، والبارقليط وهو الذي يفرق بين الحق والباطل، وحمطايا ومعناه حامى الحرم بالمُرهفات والذوابل، ولعمري إنها أسماء على مسمى جليل، وألقاب علت بذي فضل أثير وقدرٍ أثيل، فمنها ما ورد في حديثه الصحيح، ومنها ما ذكر في القرآن الكريم باللفظ والتصريح، ومنها ما جاء في التوراة والإنجيل، ومنها ما عرف من الكتب البعيد عهدها من التنـزيل، ومنها ما سماه الله تعالى به من أسمائه الحسنى، وفي ذلك ما فيه من التعظيم الأسمى والتشريف الأسنى.

أسماؤه وصفاته معلومة عند الرواة وعرفُه معروف
وخِلالُه مأثورة وخِصالُه مسطورة وجلاله موصوف
أكرم به سمحاً عطاف نواله أبداً على قُصاده معطوف
براً أميناً صادقاً صدقاته المن عنها والأذى مصروف
مِنى عليه تحيةٌ مسكيةٌ بفناء طيبةَ طيبها معكُوف

فصل

في معجزة القرآن الكريم

اعلم أن النبي ﷺ له معجزاتٌ أدلتها قاطعة، وكرامات لأنواع الغرائب جامعة، وكلمات صادعة صادقة، وآيات للعادات خارقة، رآها في محافل المسلمين الجم الغفير، ورواها الثقات عن العدد الكثير، لا تزداد مع تقادم العهد إلا ظهوراً، ولا يزيد سراجها مع اجتهاد الملحدين على إطفائه إلا نوراً، فمن معجزاته ما جاء به من القرآن المجيد، المنـزل عليه بالحق من حكيم حميد، الذي عقل بحسن تأليفه العقول، وأناف بالتئام كلمه على كل مقول، وأخرس بإيجازه فصاحة العرب، ورمى بلغاءهم من إعجازه بجراب الحِرب، وخرق عادتهم بأسنة بلاغته، وأوقعهم في الحفر بسعة فصاحته، على أنهم كانوا فرسان الكلام، وزعماء النثار والنظام، لا يشكون أن البيان طوع مرادهم، وأن الحكمة جارية في ملك سعدهم وسعادهم.

كانوا ذوي فصاحةٍ ومقولٍ مستملح الأوصاف والنعوت
لكن أتاهم بالصواب ناطق ألقاهم في علة السكوت

يا له كتاباً أحكمت آياته، وفُصلت كلماته، وبهرت مطالعه، وزهرت مقاطعه، وقهرت جوامعه، وظهرت بدائعه، وأنارت زجاجة براعته، وأضاءت ديباجة عبارته، ورست قواعد إيجازه وإعجازه، ورقت وطائد حقيقته ومجازه، واعتدل حسن نظمه، وزها فريد حكْمِه وحِكَمِه، واتسقت عقود فرائده، واطردت أنهار فوائده، وحسن ترصيعه وترصيفه، وخص بالبيان والبديع تأليفه، وجمع بين فصاحة الألفاظ وقوة الجزالة، وأقام من بلاغته على وجوه العجز عنه أوضح الدلالة، وأدهش النواظر بطلاوته، وحرك الألسن بوصف حلاوته، وحير الأفكار فنه العجيب، وسلب الألباب أسلوبه الغريب.

وأنار مشكاة الوجود وقد غشى ديجورها بالضوء من آياتِهِ
وأراح أرواح السعاة لروضه بلذيذ عرف الزهر من زهراتِهِ
وأمد طالبه وقاصد بحره باللؤلؤ المكنون من كلماتِه
وأثاب حامله وسامعه ومن يتلوه ما يجنيه من جناته

واشتمل على العلوم والمعارف، وذكر الشرائع القديمة وأخبار القرون السوالف،

وأنباء الأمم الخالية، وسرد القصص الماضية، وشرح أحوال الدار الآخرة، ونشر ما انطوت عليه الكتب الغابرة، من بدء الخلق وإعادتهم، وأسباب شقاوتهم وسعادتهم، والتنبيه على طرق الحجج العقلية، والرد على الفرق بالبراهين البينة والأدلة القطعية، وكشف أسرار المنافقين وأهل الكتاب، ووبخهم على الكذب والعدول عن الصواب، إلى غير ذلك من النواهي والأوامر، والموانع والزواجر، والسير والأمثال، والتحريض على القتال، والمواعظ والحكم، ومحاسن الآداب والشيم، والوعد والوعيد، والتنـزيه والتوحيد، والتقرير والترتيب، والترغيب والترهيب، والروعة التي تعتري القلوب عند سماع قراءته، والهيبة التي تطرق الأسماع لدى تلاوته.

كتاب يخص المؤمنين بوعدهِ ويحيي قلوب العارفين بوعظهِ
ويهدي سنا هدى لتالي حروفهِ ورامقها بين الرفُوق بلحظهِ
لقد حارت الأفكار في حسن وسر معانيه وجوهر لفظهِ
فسقيا لمن يقفو مناهج حقه ورعياً لعبد عد من أهل حفظهِ

وكم حوى مجموعه وحاز، نوعاً من أنواع الإعجاز، قصرت العرب عنها، وعجزت عن الإتيان بواحد منها، إذ كانت خارجة عن قدرتم، مباينة لكلامهم وفصاحة ألسنتهم، وما منهم إلا من بذل جهده، واستنفذ جميع ما عنده، وقصد إطفاء نوره، واجتهد في إخفاء ظهوره، فما جلوا خبيئه من بنات شفاههم، ولا برزوا بقطرة من معين مياههم، مع طول المدة وكثرة العدد، وتظافر الوالد وما ولد، بل أبلسوا فما نبسوا، وجلسوا صاغرين لما أيسوا، ثم إنه لا يعد من سعى من المعطلة في تعطيله، ولا يحصر من ثابر من الملاحدة على تغيير محكمه وتبديله، وأجمعوا كيدهم وقولهم، واستفرغوا قوتم وحولهم، فما قدروا على تحويل كلمة من تأليفه، ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه؛ لأن الله تكفل بحفظه، ومنع من التعرض إلى شيء من لفظه، وبالجملة فلم يوجد قبله ولا بعده له نظير، ولا استطاع أحد مماثلة فصل منه طويل ولا قصير، بل حارت فيه العقول وتاهت الأحلام، وجفت الصحف عن معارضته ورفعت الأقلام، وهو من باب الخوارق الممتنعة عن البدو والحضر، ولا يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ولا غير البشر، يعرف ذلك من تفنن في علوم هذا الشأن، وأرهف خاطره الخاطر أدب صناعة اللسان.

تباً لآراء ذي عناد لا يهتدي خاسر التجاره

يريد إطفاء نور ذكر الله رب العلا أناره
وخاب من رام أن يغشى حلاوة الحق بالمراره
يا ويله من لهيب نار وقودها الناس والحجاره

وهو الذكر الحكيم، والقرآن الكريم، والنور المبين، وحبل الله المتين، والربيع للقلوب، والماحي للذنوب، والنافع الشافي، والكافل الكافي، والنجاة لمن تبعه، والهدى لمن قرأه أو سمعه، ينفِر عنه الذين أذهب الشرك لُبهم، وتقشعر منه جلود الذين يخشون ر م، يؤتي تاليه طلاقة وبشاشة، ويكسب قارئه ارتياحاً وهشاشة، لا يمله القارئ ولا المستمع، ولا تحصي الألسنة ثناءً على فضله ا لتمع، حجته قاهرة ودرجته عليا، وآيته البينة باقية ما بقيت الدنيا، لا يزال غضاً طرياً، ولا يبرح عذباً شهياً، تكريره يزيده حلاوة ظاهرة، وترديده يوجب المحبة الوافرة، يستأنس به في الخلوات، ويستلذ بترتيله في الصلوات، لا تفنى عجائبه، ولا تطوى غرائبه، ولا تنقضي عِبره، ولا تضمحل درره، ولا يبلى على كثرة الترداد جديد وصفِهِ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من قال به صدق، ومن رمى به حرق، ومن حكم به عدل، ومن أقسم به برئ من العذل، ومن عمل به حصل على الأجر العظيم، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم.

تمسك بحبل الله أعني كتابه وقف عنده فهو ا يد المعظم
يبشر أهل الصالحات بنعمة وفضل ويهدي للتي هي أقوم
وينذر أقواماً عن الحق أعرضوا وبالعدل والإنصاف يقضي ويحكم
به نــزل الروح الأمين منجماً على خير مبعوث يرق ويرحم
محمد الهادي الذي بجنابه يلوذ فصيح في المعاد وأعجم
عليه سلام من سلامٍ مهيمن مدى الدهر لا يفنى ولا يتصرم

فصل

في انشقاق القمر وحبس الشمس وتكثير الماء له ﷺ

ومن معجزات رسول الله ﷺ أن أهل مكة سألوه أن يريهم آية، وذلك لقلة اليقين منهم وكثرة الغواية، فأراهم انشقاق القمر فرقتين، حتى رأوا حراء يلوح بينهما علماً بين شعلتين، وقال: "اشهدوا" وهم حينئذ بمنى، فانصب على أعدائه الأذى كما حصل أصحابه على المُنى، فجعلها أبو جهل من حمقه سحرا، وقال: ابعثوا إلى أهل الآفاق طرا، فأخبر أهل الآفاق أن معجزته كانت حقا، وأ م عاينوا القمر تلك الليلة منشقًا، ومنها أن الشمس ردت لعلي بدعائه، وكلاهما زهرة من أرضه وقطرة من سمائه، طلعت بعد ما غربت، وشبت نار ذهبها بعد أن ذهبت، ووقفت على الأرض وقفة ممتثل لما يؤمر، وكان ذلك بالصهباء في خيبر، وحبست بدعائه الشمس ساعة وقريش ينظرون، وزيد له في النهار بعد أن اكتحلت بالقار منه الجفون، وجرت هذه الكرامة التي ليس لها نظير، في واقعة الرفقة والعلامة التي في العير، وكان الغمام يظله حيث سار، وفيء الشمس يدور معه كيفما دار.

سبحان من أيد خير الورى	**بمعجزاتٍ خارقاتٍ غزار**
وأمسك الشمس له ساعة	**وردها طوعاً وزاد النهار**
وشق بين الناس بدر الدجى	**شقاً أولو الألباب فيه تحار**
هذا عطاءٌ لمن اختاره	**من هاشمٍ من مضرٍ من نزار**

ومنها أن الناس التمسوا الماء فلم يصلوا إليه، فطلب فضل ماء وصبه في إناءٍ وضع بين يديه، ثم إنه عليه الصلاة والسلام وضع فيه كفه الميمون، فجعل الماء يسيل من بين أصابعه كأمثال العيون، فتوضأ الناس عن آخرهم وكانوا ألفاً وخمس مئين، ولو كانوا مائة ألف لكفاهم ببركة يمين من لا يمين، وأقبل الناس في غزوة تبوك إلى العين، وهي تبض بشيء من الماء دون عشرِ القلتين، فغسل منه وجهه ويديه، ثم أمر بإعادة الغسالة إليه، فجرت بماء كثير ارتوى منه الجيش، وزال ببركته الظمأ وطاب العيش، وورد الناس بئر الحديبية، وهم إذ ذاك أربع عشرة مائة، فلم يتركوا منها قطرة، وأذهبوا قُلّ مائها وكثره، فقعد على جباها، ودعا لها واستدعاها، فجاشت كبحرٍ طما أو غيث هتن، فروى الناس

حتى ضربوا بعطَن.

من كف مختار الكفّاف محمد خير الورى نبع الزلال الطاهر
روى من الماء القليل جيوشه حيث الأوام له دليل ظاهر
ومن العيون الناضبات أسال ما هو للعيون من العساكر باهر
لا غرو أن يجري لديه معينه ومعينه الملك العزيز القاهر

وشكا الناس إليه العطش في بعض الأسفار، فدعا بالمِيضأة وجعلها من ضبنه في محل الإزار، ثم التقم فمها فحلت عليها البركة والسعادة، فشرب الناس وملأوا آنيتهم وكانوا سبعين رجلاً وزيادة، وأما الحديث المروي عن عمران بن حصين، في قصة المرأة والبعير والمَزادتين، وما شرب الناس من مائهما عند الظمأ في السفر، فهو حديث يعرفه الثقات من أهل العلم والأثر، ولقد أصاب الناس شدة من العطش في جيش العسرة، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيشرب عصير فَرْثه من فرط الحرة، فرغب أبو بكر في الدعاء إليه، فرفع- زاده الله شرفاً لديه- يديه، فلم يرجعا حتى أتت السماء من ديمها بما لا يحصر، فملأوا ما معهم من الآنية ولم تجاوز العسكر، وعطش أبو طالب وهو رديفه بذي المَجاز، وليس هناك ما يملك ولا يحاز، فنـزل وضرب الأرض بقدميه، فخرج الماء يفور ببركته صلى الله عليه.

قف سائلاً أرض ا از وما جرى منها وسال بجانب المنهاج
وسل الحديبية النـزوحة بئرها وتبوك عند تلاطم الأمواج
وبقاع جيش العسرة اللاتي همت بركات ماء سمائها الثجاج
تخبرك عن آيات أشرف مرسل ركب البراق وسار للمعراج
صلى عليه الله ما ذهب الدجا وأتى الضحى بسراجه الوهاج

فصل

في تكثير الطعام ببركته ﷺ

ومن معجزاته أنه أطعم سبعين رجلاً من أقراص شعير، كان أنسٌ قد جاء منها تحت إبطه باليسير وهو يسير، بعد أن تقبلها بالقبول، وقال فيها ما شاء الله أن يقول، وأطعم يوم الخندق باتفاق الحُذاق، ألف رجل من صاع شعير وعناق، بعد أن بصق وبارك في العجين والبرمة، والقصة معروفة من حديث جابر تغمده الله بالرحمة، وصنع أبو أيوب له عليه الصلاة والسلام، ولأبي بكرٍ معه زهاء ما يكفيهما من الطعام، قال: فأجبت أمره ودعوت الأنصار ممتثلاً، فأكل من طعامي يومئذ مائة وثمانون رجلاً، وأتى بقصعة فيها لحم فتعاقبها الصادرون والواردون، ولم يبرحوا من الغداة إلى العشي يقوم قوم ويقعد آخرون، وصنعت شاةٌ فَشوى سواد بطنها لديه، وكان معه ثلاثون ومائة من أصحابه صلى الله عليه، قال عبد الرحمن بن أبي بكر في حديثه المشهور: وأيم الله ما منهم إلا وقد حز له حزة من السواد المذكور.

يا مطعِم المسكين والأسير	**وجابر اليتيم والكسير**
ويا جواداً زاد زاد صحبه	**ومن قليل جاء بالكثير**
من ذا الذي ينكر ما تأتي به	**يا رحمة المهيمن القدير**
كم آيةٍ جئت ا بينة	**ليس لها في الخلق من نظير**

وأصابت الناس مخْمصة في بعض مغازيه، فجمع من الأزواد ما ربضة العنـز توازيه، ثم دعا الناس بأوعيتهم الخلية، فلم يبق في الجيش وعاء إلا ملئ وبقيت بقية، وأمر أبا هريرة -رضي الله عنه- أن يدعو له أهل الصفة، فتتبعهم حتى جمعهم ووضعت بين أيديهم صحفَة، يا لها صحفَة تخجل من جفانه الغر في الضحى لمعت، وأكلوا منها ما شاءوا وفرغوا وهي مثلها حين وضعت، وسقى جميعهم من قدح لبن، فَرووا منه حتى كادوا أن يضربوا بعطَن، وجمع بني عبد المطلب وكانوا أربعين، فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا وشبعوا أجمعين، ودعا بعس فشربوا حتى بلغوا من ريهم المطلب، وبقى الطعام والشراب كأنه لم يؤكل ولم يشرب، وأمر مرة عمر بن الخطاب أن يزود أربع مائة من الركاب وعين له تمراً قدر الفَصِيل الرابِض، فأعطى منه كلاً منهم ما شاء وهو به راضٍ

وعليه قابض.

أفاد صحابه خيراً وميراً وقد جاؤا بأوعية خليه
وأطعمهم كثيراً من قليلٍ وأرشدهم إلى الطرق الجليه
وأتحف من دنا منه ووافى إليه من الهداية بالهديه
وكم للمصطفى من مكْرماتٍ تفيد ومن كرامات عليه

وحديث مِزود أبي هريرة معروف، وما حصل فيه من بركة يده الكريمة موصوف، أطعم منه الجيش وجماعة من صحبه، وحمل من تمره كذا وكذا وسقًا في سبيل ربه، وآثر الناس منه مدة من الزمان، واستمر على ذلك إلى أن ذهب منه في قتل عثمان، وخبر جابر مع غرماء أبيه مذكور، وتكثير التمر عند وفاء ديو م بدعائه مسطور، وقصة قِدر فاطمة سيدة نساء العالمين، وفيضه بعد أكل الجمع الكثير منه لا يخفى عن أئمة المحدثين، وكذا حديث وليمتها بالأمداد والجزور، وما فضل بعد أكل الناس كافة مأثور، ولما ابتنى بزينب أمر بأن يدعى له الناس، ويقَدم إليهم مداً من تمر بعد أن يحاس، فجعلوا يأكلون ويخرجون زمراً زمراً، قال أنس: وكان القوم أكثر من سبعين نفراً، بل كانوا زهاء ثلاثمائة في رواية أخري، وهذا سهل لديه ﷺ ولو كانوا عدد جيش كسرى.

أنس ونجلُ عتيق العدل الرضا وأبو هريرة وابن خطابٍ عمر
وكذا أبو أيوب يتبع جابرا كلٌ روى ما قد رواه من الخبر
ذكروا الطعام وما تزايد فيه مِن بركات من بدعائه نــزل المطر
هو أحمد رب القراءة والِقرى صلى عليه الله ما طلع القمر

فصل

في كلام الشجر والحجر وطاعتهما له ﷺ

ومن معجزات رسول الله ﷺ أن المسجد كان على جذوع نخل مسقوفاً، وكان إذا خطب يلازم في قيامه جذعاً منها معروفاً، فلما صِنِع منبره العلى الدرج الرفيع المنار، سمع الناس لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشار، حتى ارتج المسجد بخواره، وكثر البكاء لتصدعه وانكساره، فوضع يده الكريمة عليه فسكت، والتزمه لما علم حنينه إليه فصمت، ولو لم يلتزمه - أعلى الله مقامه- لبقى كذلك إلى يوم القيامة، وفي رواية أنه دعاه فجاء يخرق الأرض طائعاً، فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه راجعاً، وفي أخرى قال له: إن شئت أردك إلى ما كنت فيه مع الشجر، تنبت عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر، وإن شئت أغرسك في الجنة، فقال: بل تغرسني فيها ولك المنة، رغب لسعادته في دار البقاء، واختارها لخيره على دار الفناء، وفي رواية فأمر به فدفن تحت منبره ليصلي إليه، فلما هدم المسجد أخذه أُبي فكان عنده رحمة الله عليه.

الجذع حن إلى الرسول المصطفى	**بالله أقْسِم أنه معذور**
قد كان حال القرب من أنواره	**في نعمة إقبالها مأثور**
فغدا لفرقة بدره متصدعاً	**يبدي الأنين وقلبه مكسور**
من ذا الذي يقوى على هجران من	**بين البرية فضلُه مشهور**

وخرج إلى نواحي مكة في بعض الأيام، فما استقبله شجرٌ ولا حجرٌ إلا شافهه بالسلام، ولما أتى جبريل بالرسالة المعظمة إليه، جعل لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه، وأمنت الأبواب والجدران على دعائه، وكان كل من الحجر والشجر يسجد له إذا مر بإزائه، وعرض الإسلام على بعض الأعراب، فقال: من يشهد لك على ما تقول بالصواب، فأشار إلى سمرة بشاطئ الوادى، فأقبلت تخِد الأرض بحضرة الحاضر والبادي، حتى قامت بين يديه فشهدت، ثم صدرت إلى مكا ا بعدما وردت. وسأله أعرابيٌ آيةً، تكون سبباً للهداية، فأمر بدعوة بعض الشجر، فأقبلت الشجرة إليه ممتثلة لما أمر، فسلمت عليه، ووقفت بين يديه، ثم رجعت بإشارته إلى منبتها، وكم له من آية منقولة عن مثبتها.

وذهب يقضي حاجته في بعض الأحيان، فلم ير شيئاً يستتر به عن العيان، فلحقت

بصاحبتها إحدى شجرتين، وعادتا على شخصه الكريم ملتئمتين، ثم افترقتا بعد الاتفاق، وقامت كل واحدة منهما على ساق.

إذا جاء الجماد إليه طوعاً **وخاطبه فلا تعجب لذاكا**
أتى يبغي التداني من نبي **علا مقداره وسما السماكا**
رسول الله أفلح من ترامى **عليك وفاز من وافى حِماكا**
وفي ناديك من حلت حباه **تلفع بالملابس من حباكا**

وذهب لحاجته في بعض مغازيه، وأسامة بن زيد في صحبته يناجيه، فأمره أن يدعو له نخلات وحجارة، ليكن له منـزلة الوقاية والستارة، فتقاربت النخلات حتى عدن لزاماً، وتعاقدت الحجارة حتى صرن خلفهن ركاماً، فلما قضى حاجته من منافعهن، رجعن بإشارته إلى مواضعهن وجاءت للسلام عليه طلحة أو سمرة من قبل نفسها، فأطافت مِلمة به ثم رجعت إلى منبت غرسها. ومن حديث ابن مسعود- رضي الله عنه- أن الجن قالوا: من يشهد لك بما عنه تدافع؟ قال: هذه الشجرة، فجاءت تجر عروقها ولها قعاقع، وسار في غزوة الطائف ليلاً، وقد أسبل الوسن من جفنه ذيلاً، فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين، واستمرت باقية قائمة على ساقين، ودعا ببعض الأودية غصناً من شجرة، فجاء يخط الأرض مطيعاً لما أمره، فحبسه بمشيئة من أعطى ومنع، ثم قال له: ارجع كما جئت فرجع، وقصد هداية أعرابي إلى السبيل، فدعا بحضرته عِذقاً من النخيل، فجعل ينقِر حتى أتاه، ثم رجع بأمره إلى مكانه ومثواه.

نبي له الأشجار جاءت مطيعة **نبي عليه سلم الحجر الصلْد**
نبي هدي حتى الجماد يجيبه **نبي كريم ما لدعوته رد**
له الفضل والإفضال والبر والتقى **له العدل والإحسان والجود وا د**
عليه سلام الله ما ذر شارق **وما مال في كثبانه البان والرند**

فصل

في كلام الحيوان والجماد وطاعتها له ﷺ

ومن معجزات النبي ﷺ أن الضب كلمه في محفل من أصحابه، وقال له: لبيك وسعديك يا زين من وافي القيامة حال خطابه، ونطق بربوبية آله الأولين والآخرين، وشهد أنه رسول رب العالمين وخاتم النبيين، وأخبر الذئب راعي الغنم بنبوته وعظمته، وقتاله المشركين حينئذ وعلُو كلمته، فحكمه الراعي في غنمه، ومضى ليحقق صدق كِلِمِه، فوجده في القتال كما قال، فأسلم وعاد واجداً غنمه على أكمل حاَل ، وسبح المأكل بين يديه بلغة فصيحة، قال ابن مسعود: كنا نأكل معه الطعام ونحن نسمع تسبيحه. وأخذ كفاً من حصى فسبحن في يده، وهو حديث رواه الثقات عن أنس بسنده، ومرض فجاءه جبريل بطبق فيه عنب ورمان، فلما أكل منه سبح للملك الديان.

يا مرسلاً خاطبه ضب الفَلا — وأخبر الذئب به راعِي الغنم
وسبحت في كفه صم الحصى — وأظهر الأنوار من بعد الظلم
لولاك ما غاب العدى لولاك ما — آب الهدى كلاً ولا أم الأمم
أقسم يا رب المقام ا ْلتلى — أنك خير الناس عرب وعجم

وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، أرجلها مثبتة بالرصاص في الحجارة إثباتاً محكماً، فلما دخل عام الفتح إلى المسجد الحرام، جعل يشير بقضيب في يده إلى تلك الأصنام، فوقعت لوجوهها وظهورها حسب إشارته، وكم له من آية بينة تدل على كثرة فضله وغزارته، وكلام "ضمارٍ" صنم عباس بن مِرداس، وإنشاده للشعر الذي ذكره لا شك فيه ولا التباس، وكذا كلام الطائر الذي عند ضمار سقط، وشهادته برسالته غير خاف عمن روى وضبط، وسجدت له الغنم في حائط بعض الأنصار، والبعير برك بين يديه ومن الذبح به استجار.

أشار إلى الأصنام في فتح مكة — فخرت وعاد البيت منها مطهرا
وأخبر عن إرساله الطائر الذي — أفاد ضماراً ما أسر وأضمرا
كرامات معروف المكارم عارف — يفوق الورى فضلاً وخبراً ومخبراً

وحديث ناقته العضباء وكلامها له مشهور، ومبادرة العشب إليها وتجنب الوحوش

عنها في الكتاب مسطور، على أ ا بعد وفاته ما اقتاتت، ولم تأكل ولم تشرب حتى ماتت، وأظلته حمام مكة يوم فتحها، وازدلفت إليه البدن في بعض الأعياد لذبحها، ونبتت بأمر الله تجاهه شجرة ليلة الغار، ونسجت العنكبوت ووقفت الحمامتان ستراً له من الكفار، واستجارت به الظبية الموثقة في الحبالة، وخصته بياء النداء شاهدة له بالرسالة، وسألته إطلاقها لترضع خشفيها ثم تعود، فعاهدها وأطلقها فغابت ثم آبت وافية بالعهود، فلما عادت أوثقها نظراً في حبال الصياد، ثم أعتقها بإذنه لما استيقظ من الرقاد.

حام الحَمام عليه إجلالاً له ... **وبه استجارت ظبيةُ القناص**

شهدت بمبعثه وأبدت شجوها ... **بلسانٍ لا هذر ولا خراص**

آيات حق حار كل مؤرخ ... في **حصرها ومحدث قَصاص**

وتنحى الأسد عن طريق مولاه سفينة، حين علم أنه مجهز من حضرته العالية المكينة. وقصة الحمار الذي كلمه حين أصابه بخيبر، وذكر أن اسمه يزيد بن شهاب معروفة لا تنكر، وشهدت الناقة عنده على مدعيها بإفكه، واعترفت أن صاحبها لم يسرقها وأ ا جارية في ملكه، وأتت إليه عنـز في عسكره المنصور، وذيل الماء على منـزلتهم غير مجرور، وهم زهاء ثلاثمائة بالعطش محصورون، فحلبهما ورواهم ثم انطلقت وهم لا يشعرون. وأمر فرسه وقد قام إلى الصلاة بالوقوف، فما حرك عضواً حتى فرغ من صلاته وتفرقت الصفوف، وكان الداجن في بيته يقر ويثبت إذا دخل إليه، ويجيء ويذهب إذا خرج منه ﷺ.

نبي **وبلُ مركزه غزير** ... **فدع طَل السحائب والرذاذا**

نبي **أمر معجزه كبير** ... **به** حتى جماد **الأرض لاذا**

وأقبل نحوه **الحيوان طوعاً** ... **يروم بكهفه العالي عياذا**

عليه صلاة رب ذي سهامٍ ... **إذا ما أرسلت نفذت نفاذا**

فصل

في كلام الموتى والأطفال وإبرائه ذوي العاهات ﷺ

ومن معجزات رسول الله ﷺ الشاة المصلية، التي بخيبر أهدتا له اليهودية، أخبرته بأ ا مسمومة، وأن عاقبة الأكل منها مذمومة، ومات بشر ابن البراء وهو أحد من أكل منها، وفي رواية أن ذراعها أو فخذها تكلم عنها، ثم إن اليهودية اعترفت بما عملت، فأمر ا عليه الصلاة والسلام فقتلت، وأتى بغلام يوم ولادته، فنطق بين يديه شاهداً برسالته، ولم يتكلم الغلام بعدها حتى شب، وليس ذلك بمستنكر بعد كلام الظبية والضب، وانطلق مع الرجل الذي طرح ابنته في الوادي، فناداها باسمها فخرجت وهي بتلبيته تنادي، فقال: إن أحببت أن أردك على أبويك فقد أسلما، قالت: لا حاجة لي فيهما، وجدت الله خيراً منهما، وأما حياة الشاب الأنصاري الذي مات، وما دعت به الأم العجوز العمياء من الدعوات، وما ذكرته من هجرتا إلى الله ورسوله، فعن أنس نقل حديثه من لا يرتاب في نقوله، وتكلم ثابتٌ بن قيس حين أدخل إلى قبره، فشهد له بالرسالة وذكر اسمه السامي نجم قدره، وكان قد قتل باليمامة، تغمده الله بالرحمة والكرامة، وتكلم أيضاً زيد بن خارجة بعد وفاته، فذكر اسمه الكريم ورسالته المعظمة وبعض صفاته، وسلم عليه بأفصح لسان، ثم عاد ميتاً كما كان.

تكلمت الموتى بحضرة أحمد　　وخاطبه في يوم مولده الطفلُ
وما ذاك بدعاً بعد تكليم بعضهم　　لعيسى كما وافى إلينا به النقلُ
وقد أخبر الرحمن أن محمداً　　على سائر الرسل الكرام له الفضلُ
هو المصطفى المختار والشاهد الرضا　　هو المنذر الوهاب والحكم العدلُ

وكان قتادة أسكنه الله بحبوحة جنته، قد أصيبت عينه يوم أحد حتى وقعت على وجنته، فردها صلى الله عليه، فكانت بعد أحسن عينيه. وأصيب وجه أبي قتادة بِقدح من القِداح، فبصق على جرحه فما ضرب عليه ولا قاح، وتشفع به إلى الله بعض العميان، فكشف عن بصره كشفاً عوضه عن الخبر بالعيان.

وابن ملاعب الأسنة كه استسقاء طرأ عليه، فشفي بحثوه من الأرض تفل عليها وجهزها إليه.

ولما ابيضت عينا فُديك وذهب نظره، نفَثَ في عينه ﷺ فارتد إليه بصره، حتى كان يدخل الخيط في الإبرة، والقوم يرفعون إلى ثمانين حجة عمره.

ورمِي كُلْثُوم بن الحُصين يوم أحد في نحره، فبصق فيها فبرأ بأمر من لا راد لأمره.

ولم تدم شجة عبد الله بن أُنيس، حيث تفل عليها من شهد بنبوته أويس.

وفي عيني على نفث يوم خيبر، فأصبح رمده لم يكن شيئاً يذكر.

كف رسول الله كم أبرأت **عيناً وأجرت في القَلا من عيون**
وكم سقيم مدنف صيرت **تحريك ما أسقمه في سكون**
واسأل فُديكاً إن تشأ أو فسل **قتادة تظفر بسر مصون**
واعلم بأن الصادق المجتبى **أصعب من هذا عليه يهون**

ونفث على ساق سلمة بن الأكوع، فبرأت من ضربة أصابتها في يوم هو سماه يوم الرضع، وأصاب رِجلَ ابن معاذ السيف، فبرأت بنفث من ببركته يذهب الجَنف والحَيف، وانكسرت يوم الخندق ساق علي ابن الحكم، فنفث عليها فبرأ مكانه ولم يحصل له ألم، واشتكى علي فدعا له ثم ضربه برجله، فلم يعد إليه ذلك الوجع أبداً من أجله، وقطع أبو جهل يد معوذ بن عفْراء يوم بدر، فبصق عليها وألصقها بإذن من شرح له الصدر، وضرِب خبيب على عاتقه فتهدل شقه ومال، فنفث عليه ورده إلى ما كان عليه قبل القتال، وبرأ صبي الخثعمية بغسالة يديه، وعقَلَ عقلاً كثيراً ببركته صلى الله وسلم عليه، وانكفأت القدر على ذراع ابن حاطب وهو صغير، فمسح عليه ودعا له فبرأ لوقته بإذن اللطيف الخبير، وكانت في كف شرحِبيل سلْعة، منعته القبض على السيف وضيقت ذرعه، فما زال يطحنها بكفه حتى ذهبت، وزال أثرها ببركة يده التي كم أبرأت وكم وهبت، وأبرأ غير واحد من ذي جِنة وذي وصب، ولم يؤت بأحد به مسٌ وصك في صدره إلا ذهب.

يا من له الرتب العلية والحسب **يا من حوى شرف المغارس والنسب**
دعواتك اللاتي نمت بركاتنا **كم أذهبت ما كاد يفضي للعطَب**
من ضربة عند النـــزال وطعنة **تأتي ومن مس يصيب ومن وصب**
أنت الذي بلغ المنى من عد من **خدام سنتك الشريفة والأدب**
صلى عليك مدبر الأكوان ما **ظهر الضياء من الغزالة واحتجب**

فصل

في دعائه المستجاب ﷺ

ومن معجزات النبي سلم الله عليه سلاماً لا تفنى مواد مدده، أنه كان إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده؛ دعا لأنس بالبركة وتكثير الولد والمال، فلم يعلم أحد نال من كثرة الولد ورخاء العيش ما نال، تمتع بالمال الكثير في سلمه وحربه، ودفن بيديه مائة ولد من صلبه، ودعا بالبركة لعبد الرحمن بن عوف، فطافت الأموال حوله بيته أجزل طوف، حتى تصدق مرة بعير، فيها سبع مائة بعير، وأطلق جزلاً وأنجز وعداً، وأعتق في يوم ثلاثين عبداً، وظهر في تركته من الذهب ما ثقل حملاً وعز وصفاً، حتى أخذت كل زوجة من زوجاته الأربع ثمانين ألفًا، ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد، فنال الخلافة وحكم في الطريف والتلاد، ودعا لسعد بن أبي وقاص بإجابة دعوته، فما دعا لأحد بعد إلا استجيب له ببركته، واستجيب له ﷺ في عمر وعز به الإسلام به من رب البشر، قال ابن مسعود: ما زلنا أعزةً منذ أسلم عمر.

نعم أعز ديننا	إسلام ذي العزم عمر
الزاهد العدل الرضي	رب الفتوح والظفر
ما ذاك إلا بدعا	ء المصطفى خير البشر
كما دعا لأنس	فنال باليمن الوطر
ولابن عوف الجوا	د فاجتلى بدر البدر
طوبى لقوم أدركوا	أيامه البيض الغرر

وقال للنابغة: لا يفضض الله فاك، فأدرك بدعائه غاية تعلو على الأفلاك، وعمر وكان أحسن الناس ثغرا، كلما سقطت له سن أنبت الله له أخرى، ودعا لابن عباس بالتفقه وتعلم التأويل، فكان بعد يسمى حبر الأمة وترجمان التنـزيل، ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه، فكان يربح في جميع ما يشتريه بنفسه ونائبه وأمينه، ودعا بالبركة للمقداد أيضاً ففاضت عليه عيون المال فيضاً، ودعا بمثل ذلك لعروة بن الجعد، فدار بنجوم ربحه الجزيل ذلك السعد، وكُفى علي كرم الله وجهه الحر والقر بدعائه، فكان يلبس في الشتاء ثياب صيفه وفي الصيف ثياب شتائه، وأعطى الطفيل بن عمرو آية

بدعوته عليه السلام، وهي نورٌ يضيء بطرف سوطه في جنح الظلام.

هذا ابن عباس به قد غدا في **الفقه والتأويل نعم الإمام**
وعروة بن الجعد من ربحه في **المال قد فاز بأعلى السهام**
والحر والفر علي رأى **حر ما سلماً عليه السلام**
وأي خير لم **يكن أصله** **من أحمد بيت فصيد الكرام**

ودعا على مضرٍ فقحطوا ولم يصل لهم عيش، ثم دعا لهم فسقُوا حين استعطفته قريش، ودعا على كسرى بتمزيق ملكه فتمزق، وتشتت شمل ذريته بل شمل الفرس قاطبة وتفرق، وقطع بعض الصبيان عليه الصلاة، فدعا عليه فقعد إلى أن أدركته الوفاة، وقال لرجل: "كل بيمينك" قال: لا أستطيع، فلم يرفعها إلى فيه إذ لم يكن لأمره مطيع، وأكل عتبةَ بن أبي لهب أسدٌ سيق إليه، حيث دعا بتسليط كلب من كلاب الله عليه، وقابلته جماعة من قريش بإساءة الأدب، فانقلبوا بعد القتل بدعائه إلى أسوأ منقلب، وكان الحكم ابن أبي العاص يغمز عنده، ويخْتلج بوجهه حيث لم يبلغ رشده، فدعا عليه باستمراره على هيئته، فلم يزل يختلج إلى أن نـزل بحفرته، ومات ابن جثامة بعد سبع من دعائه عليه، فلما دفِن لفظته الأرض مرات ولم تركن إليه، وكم له من دعاء مستجاب في الاستسقاء وغيره، ومن كرامة ظاهرة تدل على عظمته ونبوته وخيره.

إن الذي يدعو له من لا يرد **دعاؤه لموفق وسعيد**
والويل للعاصي الذي يدعو **عليه وإنه لمشرد وطريد**
يا سيد الكونين يا من ظله **كنواله للوافدين مديد**
كم آيةٍ وكرامةٍ لك ذكرها **أبداً على مر الزمان جديد**
مِني إليك سلام عبد ما له **إلا الصلاة عليك والتوحيد**

فصل

في انقلاب الأعيان له وتأثير بركته ﷺ

ومن معجزات رسول الله ﷺ أنه ركب لأبي طلحة فرساً قَطُوفاً غير لاحق، فرجع ببركته بحراً لا تجري معه السوابق، ونخس لجابرٍ جملاً أفسد اللغوب نظامه، فنشط حتى كان لا يقدر أن يملك زمامه، وبرك على فرس جعيل فحسنت وصفاً، وباع من بطنها باثني عشر ألفاً، وركب لسعد بن عبادة حماراً به قطاف، فرده هملاجاً لا يسايره ذو إكاف، وكانت في قَلَنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره، فلم يشهد ا قتالاً إلا أيده الله تعالى فيه بنصره، وكانت المرضى تستشفى بغسالة ما يلبسه من الثياب، وتعافى بما يوضع في الآنية المعدة له من الشراب، وسكب من فضل وضوئه في بئر فلم يتحدث بعد بالنـزح عنها، وبصق في بئر دار أنس فلم يكن بالمدينة أعذب منها، ومر على ماء ملح فسماه طيباً فطاب، ومج في بئر زمزم وغيرها ففاح منها ريح الأتاب، وكان يتفل في أفواه صبيان المراضع، فيجزئهم ريقه إلى أن يجمعهم والليل جامع.

رسولٌ كم حديث عنه يروى	**جواهره شنوف للمسامع**
نمت بركاته وسما سناها	**يشير بلامح في الكون لامع**
ا الحيوان أضحى ذا نشاطٍ	**وزالت عن ذوى السقم الموانع**
ا عذبت مياه كن ملحاً	**وصار لها شذى كالمسك ضائع**

وحديث عكة أم مالك وأمره لها أن لا تعصر، وما كانت تجد فيها من السمن حتى عصرتا لا ينكر، وغرس لسلمان عند مكاتبته ثلاثمائة. ودِية، فأطعمت من عامها ببركة يده الندية، وأعطاه ذهباً وزن منه لمواليه أربعين أوقية، على أنه كان مثل بيضة الدجاجة وبقيت منه بقية، وسقى رجلاً من سؤره الذي به الأرواح تنتعش، فلم يزل يجد شبع شربته إذا جاع وريها إذا عطش، وأعطى قتادة عرجوناً في ليلة مظلمة، فلم يبرح العرجون يضيء له حتى أتى مخيمه، وانكسر سيف عكاشة يوم أحد فأعطاه جذْل حطب، فعاد في يده سيفاً صارماً يدنى من قاربه إلى العطَب، ثم لم يزل يشهد به المواقف، وكان يعرف بالعون بين تلك الطوائف، وذهب سيف عبد الله بن جحش فدفع إليه عسيباً، وكان يوم أحد فرجع في يده سيفاً خشيباً، وبركته على الشياة الحوامل مأثورة، ودرورها باللبن

الكثير في صحف المحدثين مسطورة، كغنم حليمة السعدية، وشاة أم معبد الخزاعية، وأعنـز معاوية بن ثور وشاتي أنس والمقداد، وشاة عبد الله بن مسعود وغيرهم ممن لا يحصره التعداد.

لخير البرايا معدن الجود والندى فضائل آيات وسلْ أم مالكِ
وسلم على سلمان واقصد نخيله تجد حسن آثار النبي المبارك
وعكاشة اسمع قوله وحديثه عن الجِذْل بل عن مرهف الحد فاتكِ
ولذ بجناب المصطفى وامش خلفه تنل جنة محفوفة بالأرائكِ

وزود أصحابه سقاءً ماء أوكأه ودعا فيه، فلما حلّوه وجدوا لبناً طيباً ذا زبدة في فيه، وبرك على رأس عمير بن سعد، فمات ابن ثمانين ولم يشب من بعد، ومسح على بطن عتبة بن فرقد وظهره، فكان يغلب طيب نسائه طيب نشره، وجرح عائذ بن عمرو يوم حنين، فَسلَت الدم عن وجهه فعاد ذا غرة كاللجين، ومسح رأس قيس بن زيد وأشار بالدعاء إليه، فعمر وابيض رأسه خلا ما مرت يده عليه، ورمى يوم حنين في وجوه الكفار قبضة من التراب، فانصرفوا مكسورين مأزورين منقطعة بهم الأسباب، وكان جرير بن عبد الله لا يثبت على الأفراس، فضرب في صدره ودعا له فكان أفرس الناس، وشكا أبو هريرة النسيان إليه، فأمره ببسط ثوبه وضمه بعد أن غرف فيه بيديه، فما نسي شيئاً مما حفظه بعد ذلك، وكم له من معجزة ليس له فيها من الأنبياء مشارك.

لله در نبي در منطقه ألباب أهل الحجى والعلم تستلب
والنشر من وصفه لا ينطوي أبدا كلا ولا ينقضي من بحره العجب
به وجوه ذوي الإقبال ناضرةٌ آضت وعادت له الأعيان تنقلب
وأبرأت كفه العاهات مسرعة وكم له آية تملى وتكتتب
صلى عليه الذي أعلى مراتبه ما هبت الريح فاهتزت لها القضب

فصل

في إخباره بالكائنات والغيوب ﷺ

ومن معجزات النبي ﷺ ما أطلعه الله عليه من الغيوب، وما عرفه به سبحانه مما ذهب ومما يئوب، وما أخبر بوقوعه فوقع، وأنه سيكون فلاح ضوء صبحه ولمع، فمنه ما ذكر من الظهور على أعدائه، وإعلاء أعلام أنصاره وأوليائه، والأمن الموجود بيمنه في الرحلة والمقام، وفتح مكة وخيبر واليمن والعراق والشام، ودنو أمته من الدنيا وزهرتا، وتقلبهم في جزيل نضارتا ونضرتا، وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر، وأخذهم من الاختلاف بالمكيال الأوفر، وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة ليس بينها وبين الحق فرقة، وأن أحدهم يغدو في حلة ويروح في أخرى، وتوضع الصحاف بين يديه تنعما وفخراً، وتكون لهم عدة أنماط رحبة، ويسترون بيوتم كما تستر الكعبة، وأن ملكهم يبلغ ما زوى له من الغرب والشرق، وأنه لا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق.

نبي أمانةٍ ورسول صدقٍ ... جدير بالنبوة والرسالة
إذا ما قال قولاً فانتظره ... فسوف يكون حتماً لا محالة
إله العرش بالأنوار منه ... هدى من شاء من ظلم الضلالة
وعلم أمةً من بعد جهلٍ ... به وعلى الورى أعلى مقالة

وما أشار إليه من قتال العرب والترك، وزوال ملك فارس والروم بأمر مالك الملك، وقْبض العلم وظهور الهَرج والفتن، وذهاب الأمثل فالأمثل وتقارب الزمن، وملْك بني أمية واتخاذهم المال دولاً، وخروج بني العباس لا يبغون عن الملك حولاً، وقتل علي بعد قتل عثمان، وخروج المهدي في آخر الزمان، وما ينال أهل بيته الأطهار، وما يلقونه من القتل والتشريد في الأقطار، وأن الزبير يحارب علياً، وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا، وينبح على بعض أزواجه كلاب الحَوأب، ويقتل حولها كثير وتنجو بعدما كادت تذهب، وأن عماراً تقتله الفئة الباغية، وأن الأمر في قريش ما أقاموا للدين أعلاماً عالية، وأنه سيكون في ثقيفٍ كذابٌ ومبير، وأن مسيلمة يعقره من هو على كل شيء قدير.

بعض الذي قاله خير الأنام جرى ... والبعض يأتي كما قد نص في الخبر
أما الصحاب وأهلُ البيت منه وما ... قد نالهم فهو أمر غير مستتر

وسوف يظهر تصديقاً له فتن كقطع ليلٍ خلا من غُرة القمر

وما أخبر به من سحر لَبيد بن الأعصم حليف الشيطان، وأنه في جف طلع نخلةٍ ذكر ملقى في بئر ذروان، وأكل الأرضة ما كتبته قريش في الصحيفة، وأ ا أبقت فيها كل اسم لله تنـزيها لأسمائه الشريفة، وأن العرب سوف يرتدون، وأن الخلافة بعده ثلاثون، وأن الأمر بدأ نبوة ثم تكون خلافة ورحمة، ثم ملكاً عضوضاً ثم عتوا وفساداً في الأمة، وكثرة العجم في أمته وضر م رقاب الرجال، وأن الكذابين ثلاثون آخرهم الدجال، وشأن الأمراء الذين يؤخرون الصلاة، والرجل الذي يخرج من قحطان يسوق الناس بعصاه، وأمر أويس القرني وما قال عنه، وأنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه، ووقوع آخر هذه الأمة بسبب أولها في الآثام، وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام، وخروج الخوارج وأن سيماهم التحليق، وظهور القدرية والرافضة وعدولهم عن الطريق.

تباً لقوم رفضوا عصبة محمد شانئهم يرفض
عصبة خير صحبوا المصطفى والله قرضاً حسناً أقرضوا
وجه الذي يكرههم أسود ووجه كلّ منهم أبيض
طوبى لمن كان حليفاً لهم وويل مطرود لهم يبغض

وما حدث به من أمر فاطمة الزهراء نجله، وأ ا أول من يلحق به من أهله، وأن أرض الطف ا يقتل الحسين، وأن الله تعالى يصلح بالحسن بين فئتين، وأن رعاء الغنم يرون رؤساء عليهم التيجان، وأن الحفاة الرعاة يتطاولون في البنيان، وولادة الإماء الربات، وموت النجاشي يوم مات، وكتاب حاطب وقصة عمير مع صفوان، وما يكون بعد فتح بيت المقدس من الموتان، ومن غل الشملة بتفريق شمله، ومن أخذ حرز يهود فوجدت في رحله، وقتل أهل مؤتة يوم قتلوا، ومصارع أهل بدرٍ ومقابلتهم بما فعلوا، وبناء مدينة بين دجلة ودجيل يعني بغداد، وعدته من سكن البصرة ولم يخلف عليه السلام الميعاد، إلى غير ذلك من الحوادث ونـزولها، وأشراط الساعة وحلولها، وذكر البعث والنشر، وآيات الموقف والحشر، وأحوال الأبرار والفجار، وأهوال القيامة ووصف الجنة والنار، والجُمل يستغنى ا عن التفصيل، والأقلام لا تحصر ما له ﷺ من التفضيل.

نبي عظيم القدر نور قلبه وعلمه من يعلم السر والنجوى

وعرفه بالكائنات وغيبها فأصبح منشوراً له كل ما يطوى
أيا حبذا منه إمام وقدوة شرائع دين الله من لفظه تزوى
له روضةٌ تتز بالند والندى سحائبها تنهل بالجود والجدوى
تحف ضريحاً ضم هدياً ورحمة وحاز العلا والعلم والبر والتقوى
عليه سلام لم يزل غصن دوحه رطيباً سريع الميل ينمى ولا يذوى

فصل

في عصمته من الناس ﷺ

ومن معجزات النبي ﷺ أنه جلس في بعض منازله تحت شجرة، فاخترط أعرابي سيفه عليه يريد ما عظم الله خطره، فأرعدت يده وسقط منها السيف، وضرب الشجرة برأسه كمن ألم به من الشيطان طيف، فعفا عنه وأقامه بعد الإبلاس، فرجع إلى قومه قائلاً: جئتكم من عند خير الناس، وانفرد يوم بدرٍ بقضاء الحاجة من أصحابه، فتبعه رجلٌ من المنافقين مصلتاً سيفه من قرابه، فعصمه الله من شره، ورد كيده في نحره، وقصده دعثور بن الحارث، وفي يده عضبٌ مرهف الحد فارث، وذلك في غزوة غطفان، فوقع لظهره ثم هدي بعدها للإيمان، وكانت حمالة الحطب تضع على طريقه العِضاة وهو جمر، فكأنما يطأه كثيباً مهيلاً بقدرة صاحب الأمر، وتواعده المشركون مرات عديدة، وأتوا للفتك به بكل حيلة ومكيدة، فمنهم من هرب وفر، ومنهم من مر عيشه بعد أن مر، ومنهم من وقع مغشياً عليه، ومنهم من ضرب الله على عينيه، ومنهم من أصابته زلخةٌ وسقط بين يديه، ومنهم من صدته الملائكة فلم يصل إليه.

راموه بالسوء والجبار يحفظه	**من كلّ ذي حسدٍ للشر منتصبِ**
وأقبلوا نحوه **للكيد فانقلبوا**	بجهلهم **وعماهم أي منقلبِ**
لما **مشوا** في **ظلام الظلم أورثهم**	**خبطاً وخطباً** ثم **أدى** إلى **العطبِ**
تباً يلاقيهم لقيا أبو لهبٍ	**وبئس ما صنعت** حمالة الحطبِ

واجتمعت قريشٌ على قتله وبيتوه لعكوسهم، فخرج عليهم من بيته وذر التراب على رؤوسهم، وخلص منهم وهم له ينظرون، ﴿**صم بكم عمي فهم لا يعقلون**﴾، واتبعه سراقةُ حين الهجرة اتباع قاتل، وقد جعلت قريشٌ فيه وفي أبي بكر الجعائل، فلما قرب منهما دعا عليه سيد الثقلين، فخر عن فرسه بعد أن ساخت قوائمها مرتين، فناداه بالأمان، فأمنه وقابله بالإحسان، وعرف بعض الرعاة حقيقة خبرهما، فخرج يشتد ليعلِم قريشاً بأمرهما، فلما ورد مكة ضرب على جنانه، وأُنسِي ما خرج له حتى رجع إلى مكانه، وجاءه أبو جهل بصخرة ليطرحها عليه، وكان إذ ذاك ساجداً وقريشٌ تنظر إليه، فيبست يداه إلى عنقه ولم ينفعه هبل، ثم سأله أن يطلِق يديه بدعائه ففعل، وأتاه مرة

أخرى وهو يصلي ﷺ، فلما قرب منه ولى ناكصاً على عقبيه، وأشرف على خندق نارٍ كاد يهوي فيه، وأبصر من الهول العظيم ما يحزنه ويخزيه.

تدانت منه واجتمعت قريش — عليه وبيتوه للعكوس
فلم يحصل لهم مما أرادوا — سوى ذَر التراب على الرؤوس
وأمر سراقةٍ إذ خر ملقى — وراعي الشاةِ دون في الطُروس
ويبس يدي أبي جهل شهير — وكم آي لأحمد كالشموس

وجاءه عازماً على قتله رجل من بني المغيرة، فطمس الله بصره على أنه كان أعمى البصيرة، وأدركه يوم حنين رجل من خلفه، ورفع سيفه عليه عازماً على حتفه، فلما دنا ارتفع إليه شواظٌ من نار، فولى ثم أقبل فأسلم وقاتل في صف الأبرار، وخبر عامر بن الطفيل حين قصد قتله مذكور، وما اتفق عليه مع أربد بن قيس من الكيد المردود عليهما مشهور، وكثير من اليهود والكهان، أنذروا به وعينوه لأصحاب الأوثان، وأخبروهم بنبئه وحضوهم على قتله، فعصمه الله تعالى منهم بنصره وفضله، وحرسه بعينه التي لا تنام، وكلأه بعنايته في الرحلة والمقام، وجعل في أعناقهم أغلالا، وألبسهم من العكس والطرد سربالاً، وكف أيديهم عنه إذ همّوا ببسطها، وقابل عزائمهم السيئة بطي نشرها وحل ربطها، ورد كلاً منهم خاسئاً وأطال بعده، وحمى رسوله ﷺ وكفاه ﴿**أَلَيس اللهُ بِكَافٍ عبده**﴾.

سبحان من عصم الرسول من الأذى — وله أذل عصابةَ الأوثان
وحمى حِماه وعنه كف أكُفهم — ورماهم في هوةِ الخُسران
وأعزه وكفاه ما يخشاه من — شر اليهود البهت والكُهان
وأقام دولته وأعلى دينه — فضلاً وإحساناً على الأديان
صلى عليه الله رب العرش ما — عطف النسيم معاطف الأغصان

فصل

فيما جمع له من المعارف والعلوم ﷺ

ومن معجزات النبي ﷺ طيب ما جمعه الله له من المعارف الوافرة، والعلوم التي لم تزل عن وجوه الهداية سافرة، وما خصه به من ورود عين اليقين، والاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين، وعرفه من قوانين شريعته، وحفظ أسرار وديعته، وسياسة عباده، ورعاية ساكني بلاده، وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة، وما كان في الأمم قبل بعثته الزاهرة، وأحاديث القرون الماضية، وإظهار شرائعهم النائية، ووعى سيرهم وسرد أنبائهم، وأيام الله فيهم واختلاف آرائهم، والمعرفة بمدِدهم وأعمارهم، وحِكم حكمائهم وأخبار أحبارهم، ومحاجة كل أمة من الكفرة، ومعارضة أهل الكتابين بما في كتبهم المسطرة، وإعلامهم بمخبآتها وأسرارها، والمكتوم والمغير والمبدل من أسفارها، وما أحاط به من لغة العرب وغريب ألفاظها، وضروب فصاحة خطبائها وبلاغة وعاظها، وما خص به من جوامع كلمها، وحفظ أيامها وأمثالها وحِكمها، ومعرفة معاني أشعارها، وبيان مشكل نظامها ونثارها.

وبناء أركان العلوم ورفع ذكر منارها
وشفاء صدر مريدها الظامي إلى **أ ارها**
وبلوغ ما يدني إلى **استخراج در** بحارها
وسلوك أوضح طرقها في **النور من أقمارها**

وتفهيم الغامض الذي لا يظهر، وتمهيد قواعد الشرع المطهر، المشتمل على محاسن الأخلاق، ونفائس الأعلاق، ومحامد الآداب، وطرائف طرائق الصواب، وتسكين حركة العابث والعايث، وتحليل الطيبات وتحريم الخبائث، وصون الأعراض والأموال بالحدود، وحماية الأنفس بالوعيد لا بالوعود، وما علمه مما كان ويكون، وما حواه من سائر الفنون، كالفرائض والحساب، والتعبير والأنساب، والطب المحقق شفاؤه، والعلاج المجرب دواؤه، كقوله ﷺ في حديثه المعروف عن أصحاب الأثر: "**ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأول رجل ذكر**"، وقوله ﷺ صلاة متصلة بيوم العرض: "**إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض**"، وقوله صلى الله وسلم عليه رب العزة

والسلطان: "**الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان**"، وقوله في خبرٍ رواه من شنف به مسمعه: "**إن سبأ رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة**"، وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام في "**الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام**".

لله ما أفضله مرسلاً	**حاز علوماً حصرها لا ينالْ**
بحر شراع الشرع أضحى به	**مرتفعاً يعلو رؤوس الجبالْ**
لولاه ما وافى محيا الهدى	**مبتسم الثغر وزال الضلالْ**
طالب حصر الوصف منه اتئد	**من ذا الذي يحصي الحصى والرمالْ**

إلى غير ذلك من لغات الأمم، وتصوير حروف الخط بالقلم، وما لا يعلم بعضه، ولا يدري إبرامه ونقضه، إلا من لازم الدروس واقتفى سبلها، وعكف على مطالعة الكتب وجالس أهلها، وما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه فيه قدوة، وجعلوه أصلاً في علومهم لفرعوا عليه وحذوا حذوه، على أنه كان أُمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولا عرف بصحبة من يعلم الكتابة ويحسب، ولا نشأ بين قوم لهم مدارسة، ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا ممارسة، ولا اختلف إلى حبر من الأحبار، ولا اجتمع بمنجم ولا كاهن ولا صاحب أخبار، إنما كانت غاية معارف العرب الشعر والبيان، وأخبار من سلف من أوائلها وبان، وذلك نقطة من بحر علمه، وقطرةٌ من غيث حِكَمه وحكْمه، وبالجملة فقد كانوا يسألونه عما اضطروا من ذلك إليه، وعما اختلفوا فيه صلى الله عليه.

إن المعارف عرفُها من زهره	**ونمو أفْنان الفنون بقَطْره**
ومعالم العلم الشريف به سمت	**وطريقها وضحت بطالع فجره**
كم حكمة ظهرت معاني حكمها	**بين البرايا درها من بحره**
صلى عليه وزاده من فَضلِه	**من خصه شرفاً بغامض سره**

فصل

في خبره مع الملائكة والجن ﷺ

ومن معجزات رسول الله ﷺ إمداد الله له بملائكته، وإدخال طائفة من الجن في طاعته، وصرفهم إليه لاستماع القرآن، ورؤية عدة من أصحابه لهم في كثير من الأحيان، وخبر محادثته مع الملائكة في العالم العلوي مأثور، وما شاهده من كثرتم وعِظَم صورهم ليلة الإسراء مشهور؛ رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح، وتكلم مع إسرافيل وغيره في مكان تصعد إليه الأرواح، وعاينهم جماعة من أصحابه في مواطن بحضرته، ورأى ابن عباسٍ وغيره جبريل في صورة دحية وهيئته، ورؤي الناموس الأعظم في مجلسه العلى الأركان، وهو في صورة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان، وجلس على يمينه المعروفة باليمن جبرائيل، وعلى يساره المشهورة باليسر ميكائيل، وكانا في صورة رجلين بيض الأثواب، فرآهما سعدٌ وغير واحدٍ من الأصحاب.

ملائكة الرحمن تطرق بابه ... ونحو حِماه لم تزلْ تتردد
لتأييد جيش أو أداء رسالةٍ ... وكم قد أتت معنى الزيارة تقصد
وأمر سماع الجن للذكْر عنده ... وإيما م طوعاً به ليس يجحد
كرامات ذي فضلٍ على محله ... له كرم كالغيث لا يتعدد

وأخبر بعض من شهد يوم بدر، أنه سمع أصوات الملائكة على خيلها بالحث والزجر، ورأى تطاير الرؤوس من الكفار، ولم يشاهِد ضارباً بعضبٍ ولا بتار، ورأى بعضهم رجالاً بيضاً بلق الأفراس، يجولون بين السماء والأرض على رؤوس الناس، وحين رأى حمزةُ جبريلَ في الكعبة خر مغشياً عليه، وكانت الملائكة تصافح ابن الحُصين ببركة من صحِبه وانتمى إليه، ولما قُتِل يوم أحد مصعب بن عمير، أخذ الراية ملك على صورته مساعدة لأهل الخير، وأما ابن مسعود أتحفه الله بالكرامة، فإنه ليلة الجن رأى من حضر منهم وسمع كلامه، وأقبل شيخٌ بيده عصا في بعض الأيام، فسلم على رسول الله ﷺ فرد عليه السلام، ثم ذكر اسمه ونسبته إلى إبليس اللعين، وأخبره أنه لقي نوحاً ومن بعده من النبيين إلى ذلك الحين، قال عمر بن الخطاب: وعلمه سوراً من الكتاب، وتفلت شيطانٌ ليقطع صلاته في تجده، فأخذه وأراد ربطه في بعض سواري مسجده، ثم أطلقه لدعوة

أخيه سليمان، ورده الله خاسئاً بالخزي والخذلان.

رسولٌ حاز آياتٍ وغاياتٍ من السبق
أمين جاء بالإيمان والإحسان والصدق
جميلُ الخَلْق والأخلاق جم الرفْدِ والرفْق
أفاد الجن والإنسان علماً باسِم البرق
به أضحت منيرات نواحي الغرب والشرق

ولما هدم خالدٌ مكان العزى وحطم جدرانه، خرجت له سوداء ناشرة شعرها عريانة، فجزلها بمهنده، واستمر على ما هو بصدده، وكرامات أصحابه من بعض معجزاته، عليه أفضل صلوات الله وتحياته، فهذه نبذة من معجزاته الواضحة، وفلذة من أنوار آياته اللائحة، وبضعة من علامات نبوته الهادية، وقطعة من سحائب كراماته الرائحة والغادية، مقتصراً من جزلها على اليسير، ومقتنعاً من طويلها بقليل من كثير، إذ لو حصل الاستقصاء لكانت ديواناً، بل دواوين تطير أوراقها إلى طالبها زرافات ووحداناً، وبالجملة فالأدلة على فضله لا تعد ولا تحصر، واختصار القول في أهل الشرف والطول أولى وأجدر.

نعم ـنعم المُقَفى ليس تحصى وتلخيص المقالِة فيه أجدر
لأن الأفق مهما قلت فيه من الزهر الدراري فهي أكثر
وفضل البحر لم يدركه وصف وعد الموج منه ليس يحصر
أيا لله من ذي معجزاتٍ لها نور لعين الشمس يبهر
عظيم الخلق معروف السجايا إله العرش قدسه وطهر
سلام الله لا ينفك يهفو له ما هلل الداعي وكبر

فصل

في وجوب الإيمان به وطاعته واتباع سنته ﷺ

الإيمان بالنبي ﷺ واجب، وشهاب التصديق برسالته في سماء الهداية ثاقب، وهو أمر متعين لا يصح إلا معه الإسلام، وكل إيمان خلا عن الإيمان به فهو غير تام، والإيمان به هو الشهادة له بالرسالة، وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله، فمن آمن به عصم دمه وماله، وأحرز ما يصلح عاقبته ومآله، والإيمان محتاج إلى العقْد بالجَنان، كما أن الإسلام مضطر إلى النطق باللسان، فإذا اجتمع التصديق بالقلب والنطق بالمَزرد، تم الإيمان وفاز صاحبه بالجد الأسعد، وطاعته أيضاً واجبة؛ لأ ا لطاعة الله مصاحبة، فمن أطاعه هدى إلى سواء الطريق، ومن مد باعه إلى أفقه ظفر بالتوفيق، ومن امتثل أمره رفَلَ في أثواب الثواب، ومن خالفه سلك به عِقَاب العقَاب، وطاعته هي الالتزام بسنته، والتسليم لما جاء به ورفع كلمته، فاتبعوه وأطيعوه، وانقلوا خبر أمره وأذيعوه، وإذا اكم عن شيء فانبذوه ﴿**وما آتاكُم الرسولُ فَخذُوه**﴾.

خذوا ما آتاكم به المصطفى	**وأقواله صدقوا تغْنموا**
وما جاء من عند رب العلى	**إليكم به سلموا تسْلَموا**
ووالوه وامتثلوا أوامره	**وطُرق هداه الزموا تكْرموا**
وسنته تابعوا واسمحوا	**ببذل الندى وارحموا ترْحموا**

ولا تعوجوا عن مناهج الحق وسبله، وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، واجتهدوا في تصميم الاعتقاد وحضور الجَنان، واجمعوا بين التصديق بالقلب والشهادة باللسان، فالشهادة باللسان دون التصديق بالقلب نفاق، ومن نطق ا وهو غير معتقدها ما له في الآخرة من خلاَق ﴿**وأَطِيعوا اللهَ والرسولَ لَعلكُمْ ترْحمونَ**﴾ ﴿**ولا تلْبِسوا الْحق بِالْباطِل وتكْتموا الْحق وأَنتمْ تعْلَمونَ**﴾، ويجب اتباعه وامتثال سنته السنية، واقتفاء طريق هديه وسيرته في حربه وسلمه، والأخذ بقوله والرضا بحكمه، فخير الهدى هداه، ومن اتبعه أحبه الله، فعليكم بإحياء سنته، لتعدوا من صالحي أمته، أفلح من عض عليها بالنواجذ، وفاز من رؤي وهو بجانبها لائذ، من انتصر ا فهو منصور، ومن اقتدى ا وفق في سائر الأمور.

ومن إليها جاء يرجوا الهدى	**ألفت إليه حِبْرات الحُبور**

ومن أتى يطوي الفَلا نحوها فاز بنشر الخلد يوم النشور

ومن اعتصم بها نجا من النار، ومن حفظ بر برها حشِر مع الأبرار، ومن رضي بقول صاحبها رضي بالقرآن المجيد، ومن تمسك بها عند فساد الأمة فله أجر مائة شهيد، ومن رغب عنها فليس من سيد البشر، ومن آثرها على نفسه نال غاية الأمل ونهاية الوطَر، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولاه الله ما تولى وأصلاه مثوى الكافرين، فتلقَوا ما صدر عن صدرِ المصطفى بالقبول، ﴿**فَإِن تنازَعْتمْ فِي شيْءٍ فَردوه إِلَى اللهِ والرسول**﴾، ولازموا طريقته واتبعوا سنته، ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رسول اللهِ أُسْوةٌ حسنةٌ**﴾ ولا يغرنكم بالله الغرور، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلالة، وأيقظوا قلوبكم بمعرفة السنة من سِنة الجهالة، ولا تتعرضوا إلى مخالفته والاعتراض على طريقه المستقيم، ﴿**فَلْيحْذَرِ الذِين يخالِفُونَ عنْ أَمرِهِ أن تصِيبهمْ فِتْنةٌ أَوْ يصِيبهمْ عذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.

لا يكملُ الإيمان في قلب امرئ إلا بتصديق النبي المرسل
ذاك الذي في الخَلْق طاعةُ أمره وجبت بإخبار الكتاب المنــزل
يا فوز ناج نور سنته اقتفى وبه اقتدى في كل أمر مشكل
صلى عليه الله ما أحيا الحَيا ميْت النبات بعارض متهلل

فصل

في لزوم محبته ﷺ

محبة رسول الله ﷺ لازمة، والآية الكريمة بوجو ا وعظم خطرها جازمة، ولن يؤمن أحد حتى يكونَ أحب إليه من نفسه، ومن ولده ووالده وسائر أبناء جنسه، ومن أحبه وجد حلاوة الإيمان، ودخل في زمرته إلي محل الروح والريحان، وفاز بمرافقة الذين أنعم عليهم الرب، وكان معه يوم القيامة لأن المرء مع من أحب، ولقد كان أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنة الخلد مسكنهم ومثواهم، يحبونه أشد المحبة، ويختارون لقاءه وقربه، ويعظمونه أتم التعظيم، ويكثرون من الصلاة عليه والتسليم؛ أما أبو بكر فمحبته مشهورة، وهجرته إلى الله ورسوله معروفة مذكورة، وحلّف عمر له صلى الله عليه، أنه أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه، وعن علي: كان والله أحب إلينا من الأموال والأولاد، ومن الآباء والأمهات والماء البارد على ظمأ الأكباد، وقال عمرو بن العاص: ما كان أحد أحب إلى من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان خالد بن معدان يتمنى لقاءه كثيراً وبشوقه إليه يتكلم، وقيل لابن عمر: اذكر أحب الناس إليك فصاح يا محمداه، ولما احتضر بلال ذكر لقاءه ورؤية صحبه فقال: واطرباه، ومنهم من فارق ماله ودياره في موالاته، ومنهم من قتل صاحبه وقاتل أباه وابنه طالباً لمرضاته.

كيف لا يفعل الصحاب الكرام ... ذاك مع خير من أظل الغمام
كيف لا يمنحونه الود صرفاً ... وهو بدر به استنار الظلام
صا م زا م هداهم حماهم ... وبه نحوهم تدانى المرام
حبذا مرسلٌ عطوفٌ رءوفٌ ... كاشف كربةَ الهمومِ همام
لمحبيه في الوجود مقالٌ ... ولهم في جنان عدنٍ مقام
إن من في ولائه يتغالى ... لسعيد موفق والسلام

ومن علامات محبته توقيره وتعظيم قدره، وإظهار الخضوع والخشوع عند سماع ذكره، والشفقة على أمته وبر صالحهم، والنصح لهم والسعي في مصالحهم، فطوبى لمن عد من جملة محبيه، وامتثل أوامره واجتنب سائر نواهيه، وبذل الجهد في مؤازرته ونصره، وتأدب بآدابه في عسره ويسره، وآثر ما شرعه على هواه، وأسخط العباد في رضى الله

ورضاه، وثابر على العمل بسنته، ووافق ما حض عليه مخالفاً لشهوته، وتفقه في دينه وشريعته، وتخلق بخلقه وتطبع بطبيعته، وأحب من أحبه، وعظم آل بيته وصحبه، وجانب كل أمر يخالف شرعه، وأعرض عمن تعرض لمحدثة فيه أو بدعة، و ض للوقوف عند حدوده، ورفض أقوال شانئه وحسوده، وبذل النفس والمال دونه، ومال إلى الذين يحبهم ويحبونه، فأي كرم أجزل من كرمه، وأي نعم أكمل من نعمه، وأي أفضال أعم من أفضاله، وأي نوالٍ أتم من نواله، وقد جاء بالرأفة والرحمة، وعلم الكتاب والحكمة، وبشر وأنذر، و ى عن التعسير ويسر، وبالغ في النصيحة، وسلك المحجة الصحيحة، واجتهد على الهداية، وأنقذ من العماية، ودعا إلى الفلاح، وبين سبيل النجاح، وأوجب البقاء الدائم والنعيم السرمد، صلى الله عليه صلاة متصلة لا تنقطع ولا تنفد.

يا صاحب العز والقبول ومنْ حير أهل العقول معجزه
يا منْ له مجلسٌ حوى شرفاً بالقطر من سحبه يطرزه
ويظهر العلم في جوانبه والدر من فيض فيه يبرزه
حبك يا أشرف الخلائق في قلوب أهل الرشاد مركزه
أنت الذي تبطل الوعيد كما وعد المرجى بذاك ينجزه
صلى عليك الإله ما خطرت ريح بغصن النقا ز هزه

فصل

في تعظيمه وتوقيره ﷺ

أوجب الله تعالى تعظيمه وتوقيره، وفرض إعانته ونصره وإجلاله وتعزيره، و ى المؤمنين عن التقدم بالقول بين يديه، وعن سبقه بالكلام وإساءة الأدب عليه، وأمرهم أن يستمعوا لما يخرج من فيه، ولا يتعجلوا بقضاء أمر قبل قضائه فيه، ولا يقتدوا إلا بأمره، وحذرهم مخالفته في قُلّ الأمر وكُثره، وأن لا يرفعوا أصواتم فوق صوته، وأن يحترموه ويعظموه في حياته وموته، ولا يدعوه كدعاء بعضهم بعضاً، ويتركوا من لا يرعى حقه مقتاً ورفضاً وبغضاً، وأن ينادوه بأشرف ما يحب من أسمائه، وأن أحداً منهم لا يجهر له بالقول في ندائه، وأثنى على الذين يغضون من أصواتم عنده، ووعدهم بالمغفرة والأجر العظيم وسينجز لهم وعده.

عظمْ نبياً عالماً عاملاً ... رب العلا قد رأى تعظيمه
والزمْ هدِيت الرشد توقيره ... -ما دمت في الدنيا- وتكريمه
واحذرْ خلاف أمره واتبعْ ... تحليله طوعاً وتحريمه
واصبر لكلْم الضد فيه عسى ... في الحشر أن تسمع تكليمه

فقد كان أصحابه الأبرار يعظمونه كثيراً، ولا يملون عيو م منه إجلالاً وتوقيراً، وإذا خرج لا يحدون إليه النظر، ولا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر، ويجلسون حوله كأنما الطير على رؤوسهم، ويسمحون في الذب عنه بأموالهم ونفوسهم، وإذا توضأ ابتدروا إلى وضوئه وأسرعوا إليه، وكادوا حرصاً على التبرك به يقتتلون عليه، ويتلقون بصاقه عليه الصلاة والسلام، فيمسحون به الوجوه ويدلكون به الأجسام، وإذا سقطت منه شعرةٌ تزاحموا على التقاطها، ويبادرون إلى امتثال أوامره والتلفع برباطها، ويقرعون بالأظافير بابه، ويؤخرون سؤاله عن الأمر حياء ومهابة، وإذا تكلم أنصتوا، وإذا تلا عليهم الذكر أخبتوا.

وإذا أرادهم لأمرٍ بادروا ... لجواب ذاك الأمر لم يتثبتوا
وإذا اهم أعرضوا عما ى ... ولغير ما يختار لم يتلفتوا
وإذا أشار بصمتهم لم ينطقوا ... وإذا دعا أقوالهم لم يسكُتوا

أكْرِمْ م قوماً أقاموا دينه   وبعزمهم شمْلَ الأعادِي شتتوا
فعليهم رضوانُ رب صانهم   أن يعبدوا من دونه أو يفْتنوا

ويجب أن يحترم بعد مماته، كما يحترم عليه الصلاة والسلام حال حياته، وذلك عند ذكره وحديثه وسنته، ولدى سماع اسمه الشريف وسيرته، فقد كان السلف يعظمون حديثه الحسن الصحيح، ويتلقون الصادر والوارد من سنته الشريفة بكل صدر فسيح، وينصتون إلى سماع أقواله، ويتأدبون عند ذكر أوصافه وأفعاله، فمنهم من يسكن من حركته، ومنهم من يشرئب لوقع بركته، ومنهم من يرتدي بالخضوع والخشوع، ومنهم من تجري من عينه شآبيب الدموع، ومنهم من يغيب ويتحير، ومنهم من يصفر لونه ويتغير، ومنهم من لا يكتب الحديث إلا وهو طاهر، ومنهم من يكره أن يحدث وهو مضجع أو قائم أو سائر، ومنهم من إذا طُلِب منه تسميع حديثه المفيد، بادر إلى الغسل والتطيب ولبس الجديد، فجد في بره وتوقيره والاستجابة إليه، بما كنت تأخذ به نفسك لو كنت بين يديه، واجتهد في تبجيله وتعظيمه، وبالغ في إجلاله وتكريمه، واعرف حق قدره، وتأدب عند ذكره، واستشفع به في غفر ذنوبك وستر عيوبك إلى من لا يحول ولا يزول، وتمسك بقوله تعالى: ﴿**ولَوْ أنهمْ إذ ظلَموا أنفُسهمْ جاءُوك فَاسْتغْفَروا اللهَ واسْتغْفَر لَهم الرسولُ**﴾.

بك يا رسول الله في غفران ما   أسلفت في زمن الصبا أتشفع
كم من ذنوبٍ قد تحمل كاهلي   شم الجبال لوقعها تتصدع
ما لي سواك أحوم حول جنابه   يا من إليه ذو المساوئ يهرع
أنت الذي ظُلَم الشدائد تنجلي   بسراجه وبه العظائم تدفع
صلى عليك من اصطفاك من الورى   ما لاح في الآفاق نور يلمع

فصل
في محبة آله وأصحابه ﷺ

من تعظيم رسول الله ﷺ تعظيم آله الأطهار، وعترته الأبرار، وذريته الأخيار، وسائر المهاجرين والأنصار، وإكرام أمهات المؤمنين أزواجه، والسلوك من بر ِبرهم في أوضح منهاجه، وتوقير من سلف من أصحابه، ومن لازمه منهم في ذهابه وإيابه، ومعرفة الواجب من حقوقهم، وشيم الوامض من بروقهم، والاقتداء بأفعالهم الصالحة، والاقتباس من أنوار معارفهم الواضحة، فعظم أهل بيته كما عظمتهم العلماء من الناس، وهم آل علي وجعفر وعقيل والعباس، ووال من والاهم، وعادِ من أبغضهم وعاداهم، وتمسك بحبل حبهم فهو دليل على الإيمان، واجتهد في تقديم قريش وعاملهم بالإحسان، فمعرفة مكانة آله براءة من النار، والولاية لهم أمان من البوار، وحبهم جواز على الصراط، وباب إلى منـزل الحظ والاغتباط، ومن أحب الحسن والحسين، وأمهما الزهراء ذات النورين، وأباهما المعروف بالبسالة والشهامة، كان مع المصطفى في درجته يوم القيامة.

لا تعْد عن سنن الرسول محمد ... والزمْ محبة آله الأطهار
وقر وعظم قدر عترته ومن ... ينْمى إلى الذرية الأخيار
واسلكْ سبيلَ كرامةِ الزوجاتِ والأ ... ولاد والأعوان والأنصار
وارفع لأهل البيت راياتِ الولا ... تجد الوقاية من عذاب النار

وقد حض النبي ﷺ على حبهم، ونبه على رفعة شأ م عند ر م، فقال آتاه الله الفضيلة وأناله غاية سوله: "لا يدخل قلب رجلٍ الإيمان حتى يحبهم لله ورسوله " وعظمهم إذ قر م بكتاب الله أين كانوا وحيث حلوا، في قوله: "إني تارك فيكم ما إنْ استمسكتم به لن تضلوا" وقال في علي: "من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"، وقال في عمه العباس: "من آذى عمي فقد آذاني" وقال: "أنشدكم الله في أهل بيتي" ولعمري إ ا إشارة لطيفة المعاني، ويكفيهم قول من خلق كل شيء فقدره تقديراً: ﴿إنما يريد اللهُ ليذْهِب عنكُم الرجْس أهْلَ البيْتِ ويطَهركُمْ تطْهيرًا﴾.

إن خفت من سبع الذيوب وبطشه ... فالزم ولاء الخمسة الأشباح
أهل الكساء الطاهرين ذوي التقى ... سفن النجاة وراحة الأرواح

و م تمسك حين يعتكر الدجى   تلق الرضا من فالق الإصباح

واستغفر لأصحاب رسول الله ﷺ على كل الأحوال، وأمسك عما شجر بينهم من الأقوال والأفعال، وأظهر سيرتم الحميدة، وبين فضائلهم العديدة، واهتد بأعلام علومهم المرتفعة، وارفض من عاداهم من ضلال الشيعة والمبتدعة، وانظر إلى قول من خلق الإنسان من صلصال كالفخار: ﴿**محمدٌ رسولُ اللهِ والذين معه أشداءُ على الكفار**﴾، وإلى قول من أبطل بآي كليمه ما جاء به السحرة: ﴿**لقدْ رضيَ اللهُ عن المؤمنين إذْ يبايعونك تحْت الشجرة**﴾، وإلى قول من يرجع الأمر كله إليه: ﴿**رجالٌ صدقُوا ما عاهدوا اللهَ عليْه**﴾. وقد قال أشرف الخلق وسيد البشر: "اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر" وقال عليه الصلاة والسلام: "ومثَلُهم كمثَل الملح في الطعام" وقال من حديث يتشنف به السمع وتتشرف به الصحيفة: "لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهباً ما بلغ مد أحدِهم ولا نصيفه".

تمسك بالأوامر من رسولٍ   كريمٍ ناشر فضل الصحابه

ولازمْ حبهم واستوص خيراً   بكلٍ منهم وارفعْ جنابه

وأكثرْ من ثنائك كل وقتٍ   عليهم حائزاً أجر الإصابه

فمن أحسن الثناء عليهم برئ من النفاق، ومن أحبهم أحرز في ميدان الإيمان خصل السباق، ومن تبعهم أدرك ما يروق مما يروم، ومن اقتدى م اهتدى لأ م كما قال عليه السلام: "**أصحابي كالنجوم**". ومن قابلهم بالعز حظي في دار البقاء بالملابس الفاخرة، ومن حفظ رسول الله فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة، فضلهم الله بصحبة سيد المحسنين وا ملين، واختارهم على العالمين سوى الأنبياء والمرسلين.

أصحاب هادي الورى قومٌ لهم شرفٌ   بالقربِ منهم خصوصاً أول العشره

جاءوه واستمعوا ما قال واتبعوا   وبايعوا تحت أغصانٍ من الشجره

يكفيهم أن خير الرسل أكرمهم   وأ م أفضل الأخيار والبرره

مِنى عليهم سلامٌ طيبٌ أرجٌ   ما أظهر البحر من قاموسه درره

فصل

في زيارة قبره وتعظيم مواطنه ﷺ

زيارة قبر النبي ﷺ سنة جميلة، أجمع المسلمون عليها ورغبوا فيما لديها من الفضيلة، فمن زاره بعد وفاته، فكأنما زاره في حال حياته، ومن زار قبره دخل في جواره المنيع، وكان في شفاعته يوم لا حميم يطاع ولا شفيع، ومن أقام بمدينته طيبة حظي بطيب ثراها، ومن مات بها ظفر بشفاعة من به كُثُر ضيفها وقراها، واقصِد مسجده الذي تشد الرحال إليه، وفز بزيارته والسلام عليه وعلى صاحبيه، ولا ترفع صوتك في مسجده، وكن ممن ظهر في الأدب حسن مقصده، واتبع السلف الصالح في تعظيمه، وبالغْ كما بالغوا في إجلاله وتكريمه، وتبرك بروضته ومنبره ومواطن قدميه، وشرف نظرك بمكانٍ جبريل ينـزل فيه بالوحي عليه.

زرْ قبر منْ شمس الضحى عِدله لما **بدت** ولىّ **ظلام الشطَطْ**
كيما ترى نفسك في **روضةٍ** في **أرضها زهر القرى يلتقطْ**
واهرع إلى **طيبة تلك التي** **جود** أبي **الطيب فيها انبسطْ**
وانـزل بها في **مسجدٍ منجدٍ** **جبريل** في **أرجائه كم هبطْ**

يا له مسجداً أسس على التقوى، ومعبداً أفلح من تمسك بسببه الأقوى، فيه روضة من رياض الجنة، ومنه انتشرت أعلام الكتاب والسنة، وفيه بقعةٌ هي أفضل البقاع في الأرض، كيف لا وقد ضمت أعضاء الشفيع المُشفع يوم العرض، وأكثر من الصلاة في نواحيه تحظ بالنعيم والإنعام، فصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، لأنه مسجد وافر المآثر، زاهر المشاعر، صالح المناسك، واضح المسالك، عميم النعمة، عظيم الحرمة، شريف المواقف، مطهر للطائف والعاكف، مرفوع القواعد ثابت الأساس، جعله الله أماناً ومثابة للناس، نامي البركات وافي التعظيم ﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**﴾ بنص العزيز الجبار، ومن حجه ثلاث حجج حرمه الله على النار، واجتهد في تقديس مشاهده، وإقامة شعائر مساجده، وتعهد معالمه ومعاهده، وتطهير مواقفه ومعابده، وتشريف أماكنه المكينة، وتمجيد مواطنه من مكة والمدينة.

حث المسير إلى نحو الحجاز ولا **تقفْ وسلم على عرب بذي سلمِ**

وانـزلْ بمكة خير الأرض مقتفياً **آثار أقدام سر الكون في القدمِ**
واجنح لكعبتها والمروتين ا **والعرف من عرفات موقف الأممِ**
والحِجْر والحَجر السامي وخيف مني **وكل موضع نسكٍ حل في الحرمِ**

أكرم ا مواطن عمرت بقاعها بالوحي والتنـزيل، وزهرت ربوعها بتردد جبريل وميكائيل، وعلت بوط الملائكة وعروجها، وسمت بقمرها الطالع في الأفلاك بروجها، وتنسمت بالتلاوة نفحات أسحارها، وتبسمت بالذكر ثغور زهور أشجارها، وأشرقت بالتكبير والتهليل سماؤها، وتأرجت بالتسبيح والتقديس أرجاؤها، وضم رغامها أعضاء سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله ورسوله ما انتشر، ويا لها مدارس آيات، ومراكز رايات، ومساجد صلوات، ومنازل البركات الوافرة، ومحل المعجزات الباهرة، ومنشأ السراج المنير، ودار هجرة البشير النذير، ومهبط غيث الرسالة، وموطن موضح الدلالة، ومطلع فجر النبوة، ومعدن الفتوى والفتوة، ومناسك الحجاج والمعتمرين، ومحط رحال الآمرين والمؤتمرين، فجدير ا أن تحترم جدرا ا، وتستلم أركا ا، ويرفع مقامها، وتنشر أعلامها، ويحمى حماها، ويرعى ماؤها ومرعاها، ويستاف عرف روضتها، وتعفر الوجنات في جنات تربتها.

طوبى لمن يأتي لمكة لائذاً **بمشاعرٍ جلت عن الأوصافِ**
ويعظم البيت العتيق مجدداً **فيه برود السعي والتطوافِ**
ويسير كي يحظى بساكن طيبةٍ **ويواصل الإعناق بالإيجافِ**
ويقبل الأحجار من حجرا ا **حباً لمن يرتاح للأضيافِ**
أعني رسول الله كشاف العنا **ذا العدل والإحسان والإنصافِ**
صلى عليه الله ما سقت الثرى **عين الغمام بدمعها الوكافِ**

فصل

في الصلاة عليه ووجو ا وفضلها ﷺ

الصلاة على رسول الله ﷺ واجبة في الجملة، فليأت ا من آمن به واتخذه للهداية قبلة، وليكثر في غالب أوقاته منها، وليواظب عليها ولا يغفُل عنها، خصوصاً يوم الجمعة من كل أسبوع، فقد ورد الأمر به عن أوس في حديثه المرفوع، ومن العلماء من أوجبها في الصلاة ومنهم من استحبها فيها على ما رآه، ومن سأل الله شيئاً فليبدأ بحمده والثناء عليه، ثم ليصل على من تحرك الساكن ونطق الصامت بين يديه، فهو أجدر بنجح المقال، وأحرى بالإجابة للسؤال، والدعاء بين الصلاتين عليه لا يرد، ولا يطْرد عن باب القبول ولا يصد، وما من دعاء إلا وهو دون السماء محجوب، فإذا اقترن بالصلاة عليه صعد وسعِد بالمطلوب، ومواطن الصلاة عليه: عند ذكره، وحين سماع اسمه وحديثه النامي در بحره، وفي الأواخر من الكتب بعد الأوائل، ولدى الآذان ودخول المسجد وفي الرسائل، وفي تشهد الصلوات وعلى الجنائز، والمكثر من الصلاة عليه بالقدح المُعلى فائز، فَرَغِم أنف امرئٍ لم يصل عليه إذا ذكر عنده، وحسب المصلي عليه أن الملائكة تستغفر له وتشكر قصده.

صلّوا على خير الورى تفلحوا	في **هذه الدنيا** وفي **الآخره**
واستكثروا منها تنالوا البقا	في **جنة روضتها ناضره**
رب العلا صلى عليه كما	**قد جاء** في **آياته الباهره**
والأمر معروف ا ظاهرٌ	**والعرْف منها ريحه عاطره**

ومن صلى عليه صلاة صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، وصلت عليه الملائكة الكرام، ومن سلم عليه حياه السلام بالسلام، ومن أكثر من الصلاة عليه كُفِي وغُفِر ذنبه، ونجا من أهوال يوم الآزفة وكُر عنه كربه، ومن صلى عليه في كتابٍ فاز بجزيل الثواب، ولم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمه في ذلك الكتاب، ومن سلم عليه عشراً فكأنما أعتق رقبة، والصلاة عليه تمحو ما أسلفه المصلي من الذنوب واكتسبه، والمكثر من الصلاة عليه أولى الناس به يوم القيامة، وما من أحد يسلم عليه إلا رد الله روحه حتى يرد سلامه، ومن صلى عليه عند قبره الكريم سمعه، والسلام عليه يؤتى

إليه في كل ليلة جمعة، ولله ملائكة سياحون تبلغه السلام عن أمته، واليوم الأزهر والليلة الزهراء يؤديان إليه صلاة أهل ملته، فأكثر من الصلاة عليه فإ ا مفروضة، وصل عليه حيثما كنت فإن صلاتك عليه معروضة، والبخيل من ذُكِر عنده فلم يصل عليه، صلى الله عليه وأنـزله المنـزل المقرب إليه.

إذا أنت أكثرت الصلاة على الذي — هداك إلى الإسلام فزت بقُربِهِ
وكنت به أولى من الناس كلهم — ونلت ثواباً وافراً عند ربهِ
فصل عليه ثم ثَن بآله — أولي الفضل والتقوى وثلث بصحبه
وسلم عليهم فالسلام من الفتى — يؤدي إلى غفران سائر ذنبهِ

اللهم اجعل أفضل صلواتك، وأكمل تحياتك وبركاتك، على محمد أمينك المأمون، وسادن علمك المخزون، وشهيدك يوم المحشر، ورسولك إلى الأسود والأحمر، والصادق فيما نطق، والخاتم لما سبق، والهادي من الأضاليل، والدامغ رؤوس الأباطيل، والذي كان حافظاً لعهودك، وواقفاً عند حدودك، قاضياً بأحكام وحيك، ماضياً على نفاذ أمرك و يك، حتى أورى القَبس، ومحا آية الغلَس، وأوضح الأعلام، ومهد قواعد الإسلام، اللهم آته الوسيلة والفضيلة، وأنله الدرجة العالية الجليلة، وابعثه المقام المحمود، وانجز في القيامة له الموعود، وأكرم مثواه ونـزله، وحقق من فضلك العظيم أمله، وصرفه في المعادن من عدنك، وضاعفت له الخير بمنك ويمنِك، وتقبل شفاعته الكبرى، وبلغه بنظرك إليه اية البشرى، وفجر له عيون عنايتك تفجيراً، واجعل له من لدنك سلطاناً نصيراً، اللهم صل على سيدنا محمد المختار، وعلى أهل بيته الأطهار، وعلى آله وأولاده وأصحابه، وعلى أزواجه وخاصته وأحبابه، وعلى الأنصار والأعوان، وعلى التابعين لهم بإحسان، صلاة مقرونة بالتسليم والتفضيل، مشتملةٌ على التكريم والتشريف والتعظيم والتبجيل.

يا خاتمَ الرسل ويا من له — ظل على من يرتجيه ظليلْ
يا معدنَ الجود وبحر الندى — يا صاحب القدر النبيهِ النبيلْ
يا من إذا ما أمه قاصدٌ — يلقاه بالوجه الجلي الجليل
كن لي شفيعاً في ذنوبي فقد — أُلقِيت منها تحت حمل ثقيلْ
وانظر لحالي واسقني شربةً — من حوضك الحالي تروي الغليل

إني تطفلت على مادحي	**وصفِ معاليك الأثير الأثيلْ**
إذ قُلت في مدحك ما قلته	**وهْو قليلٌ من كثيرٍ جزيلْ**
فاقبله مِنــي وأنلنــي به	**جــائــزةً حائزة للجميلْ**
فضلك لا يحصره واصفٌ	**إن الدراري حصرها مستحيلْ**
صلى عليك الله رب العلا	**والعرش ما هب النسيم العليلْ**
والحمد لله على فضله	**وحسبنا الله ونعم الوكيلْ**

نجز إملاء قلم الكاتب، وانتهى مسير "النجم الثاقب"، بتيسير من أرشد إلى المعرفة وألهم، وتوفيق من علم الإنسان ما لم يعلم، عليه توكلت وإليه أنيب، وهو المسئول في بلوغ المأمول إنه قريب مجيب.

قال مؤلفه عفا الله عنه: بدأت في إنشائه يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وفرغت منه يوم الأحد مستهل شوال من السنة المذكورة، والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لعز وجهه وكرم جلاله.

فهرس الموضوعات